2020
2.1.2020

العالق في يوم أحد



عبدالله ناصر

التنوير

عبدالله ناصر

العالق في يوم أحد

قصص قصيرة



عبدالله ناصر

العالق في يوم أحد

الكتاب: العالق في يوم أحد (قصص قصيرة)

تأليف: عبد الله ناصر

عدد الصفحات: 112 صفحة

الترقيم الدولي: 978-614-472-058-5

الطبعة الأولى: 2019

الناشر

دار التنوير للطباعة والنشر

لبنان: بيروت - بئر حسن - بناية فارس قاسم (سارة بنما) - الطابق السفلي
هاتف: 009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

مصر: القاهرة 2- شارع السرايا الكبرى (فؤاد سراج الدين سابقا) - جاردن سيتي
هاتف: 002022795557

بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس

هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com

موقع إلكتروني: www.dar-altanweer.com

إلى

عبدالرحمن

متواليات

يعيش في فيلا تُشبه تمامًا فيلا جاره، وفيلا جاره تُشبه تمامًا الفيلا المجاورة لها، والفلل الثلاث تشبه تمامًا فيلا الجار الرابع والخامس والسادس، وحتى نهاية الشارع، والشارع الذي يقابله، والشارع الذي يليه، والشارع الذي يقابل الشارع الذي يليه و...

الأبواب نفسها، والأسوار نفسها، والنوافذ نفسها، والألوان نفسها، والباركيه نفسه و..

ولو عاد في ساعةٍ متأخرة من الليل، مرهَقًا أو ثملًا، ولم ينتبه إلى أرقام الفلل، لربما خلط بين بيته وبيت جاره أو أيّ جارٍ آخر. تخيلوا معي لو كانت المفاتيح أيضًا متطابقة، كان سيدخل بيت ذلك الجار، ولن يلحظ الفرق إن وُجِد، فالأثاث نفسه تقريبًا، الطاولات، والكراسي، والنباتات الصناعية، والشاشات، والسجاد. ولو شعر بالجوع، سيجد في الثلاجة الأجبان نفسها، والألبان نفسها، والزيتون نفسه، كان قد تبضَّع مثل هذه الأطعمة بالضبط قبل يومين. حتى الصور الشخصية المعلقة على الحائط تكاد تكون متطابقة.

ربما يعود ذلك الجار بعده بدقائق، ويخلط هو الآخر بين بيته وبيت جاره. سينام كلٌ منهما في بيت الآخر، بجوار زوجة جاره، وعندما يستيقظان لن تقع كارثة ولا فضيحة، لا، فلن ينتبه أحد على الأرجح، لا الزوج ولا الزوجة ولا حتى الأطفال. سيتناولون بسعادةٍ وجبة الإفطار، ثم ستوصيه الزوجة بينما تناديه يا حبيبي بأن يتعجَّل؛ ليُقِلَّ الصغار إلى مدارسهم.

حتى ساعات دالي

تراقبك الساعة، تراقبك طوال الساعة بينما تحسب في الوقت نفسه مرور الوقت. ربما تكون ساعة حائطٍ في محطة أنفاق برلين أو ساعة يد معروضة للبيع في واجهة متجرٍ بطوكيو.

تراقبك تلك الساعة عن بعد، عبر سلسلةٍ لا نهائية من الساعات، وتتناقل أخبارك بصوتٍ عالٍ مثل ساعة بيغ بن، أو بصوتٍ أشبه بهسيس الساعات الصغيرة.

لا يمكنك تضليل الساعة، حتى عندما تسافر إلى الشرق أو الغرب، فيتقدم التوقيت أو يتأخر. في المطارات مكاتب صرافة للعملات وللوقت أيضًا، التوقيت المحلي يختلف عن الآسيوي عن الأوروبي عن الأمريكي الشمالي والجنوبي. يوجد أيضًا مكتب جمارك للوقت، لا يمكنك تهريب ساعةٍ من دبي أو تسع ساعات من نيويورك.

اثنتا عشرة ساعة في النهار ومثلها في الليل. تسهو ساعتك أحياناً أو تركن إلى الراحة، فتغط الثانية ظهراً في قيلولة، لتجد الساعة تشير

إلى الثالثة عصراً. هذا ما يجعل بعض الساعات تبدو أقصر أو أطول من ساعاتٍ أخرى.

لعلك لاحظت أن بعض الساعات لا تتجاوز مدتها خمس دقائق، بينما هناك ساعات تمتد إلى أكثر من خمس ساعات. لا يطول الوقت لمجرد أنك تشعر بالحزن، ما هذا الغرور؟ لا شأن لكوارثك بثقل الوقت، ولا علاقة بالطبع لأفراحك بجريانه. لستَ الساعاتي هنا، أنت البطارية، وأسلافك الرمل.

يمكنك الآن أن تخمن لماذا تتعطل فجأةً بعض الساعات. تتوقف أخيراً عن الحركة والمراقبة.

تكامُل

كان حباً لا يمكن أن نقرأ مثلهُ في الروايات، أو نسمعُ ما يشبههُ في الأغاني. يكفي أن يغيب أحدهما لسويعاتٍ، حتى يشعر الآخر بأنه عجوزٌ أو أرمل.

كانا لا يفترقانِ أبداً حتى أثناء النوم، يمشيانِ معاً يداً بيدٍ في الحلم نفسه، أو يهربانِ معاً من الكابوس نفسه. وعندما يستيقظ أحدهما فزِعاً، يمد يدهُ إلى الآخر، فينتشلهُ من الكابوس.

أما في الصباحات التي تعقب الأحلام، فتنهمك المرأةُ بحماسة في سرد حلم الليلة الفائت، كما لو أنه لم يكن معها. يترك الرجل الجريدة، وينصتُ إليها باهتمامٍ لا يفتعله، ولكنها تتوقف بغتةً في منتصف الحديث، وتمضي إلى المطبخ.

يصرخ معترضاً: «ولكن ما الذي حدث بعد ذلك؟»، فتجيبه: «تعرف كل شيء». يُنكِر وينتظرها لتسرد ما تبقى من الحلم الذي يتذكرهُ جيداً.

المسيح

أمروا بإعدام الأمل، فانطلق الحرسُ يتسابقون في القبض عليه. كان الأمل في تلك اللحظة يلعبُ مع الصبية في الشارع، وعندما بلغهُ الخبر، فرَّ هارباً. أغلقوا منافذ المدينة وأخذوا يفتشون البيوت. كانوا قد أمروا أيضاً بإعدام كل من يؤوي الأمل، أو حتى من يجرؤ على مساعدته، ولو بكوبٍ من الماء.

خافتِ الأرملة، ورجتِ الأمل الذي يندسّ في قبوها أن يرحل بعيدًا. قالت معتذرة وهي تبكي إنها تعيل ثلاثة أطفال. كاد الخجل أن يقتله، كانت قد آوته لأسبوعٍ كاملٍ. زعم أنه ينوي الرحيل هذه الليلة، زعم أيضًا أنه يعرف بعض الأصدقاء الذين يمكنهم مساعدته. شكرها ونذر في سره ألّا ينسى معروفها أبداً لو قُدِرت له النجاة. وحالما ودّعته الأرملة بكى الأمل لأول مرة، بكى نفسه كما تبكي الأم طفلها المريض.

وما إن خرج حتى كان الحرس في انتظاره. ركض فركضوا وراءه، استصرخ الناس فأوصدوا أبوابهم، وتضرّعوا إلى الله أن

ينقذه. كان للأقفال وقع أحذية الحرس الثقيلة. تسرب الأملُ من الأملِ وكما يحدث عادةً في الكوابيس تثاقلت ساقاهُ فكأنها تخوض في الوحل أو في الماء حتى خرَّ على الأرض.

هجم الحرس عليه، فأوسعوه شتمًا وضربًا، واقتادوه إلى السجن. هناك اعترف الأمل بكل شيء. حتى تلك الجرائم التي لم يقترفها. جمعوا الناس، كل الناس، الكبار، والصغار، والرضّع، والعميان، وحتى العجائز اللائي لا أمل لهنّ في ساحة الإعدام، حيث جاؤوا بالأمل معصوب العينين. أعلن على الملأ توبته، وتوسّل الصفح وهو يتبوَّل من الخوف، حتى عندما قاطعهُ الرصاص ومزَّق جسده لم يتوقف خيط البول الأصفر.

تركوه هناك مكوَّمًا على الأرض وعندما خافوا العدوى والمرض، حشدوا الناس مرةً أخرى وأحرقوه أمامهم. لم ينم أحدٌ تلك الليلة، ومن نام تمنى ألّا يستيقظ أبداً إذ ما جدوى العيش بلا أمل؟ لكن الجوع أيقظهم ومن تحمَّل الجوع، وهم قلة، لم يتحمَّل كعوب البنادق وهي توقظهم بالقوة وتقودهم إلى أعمالهم.

قال أحدهم إنه رأى الأمل في المنام، وأنه سيعود مثل المسيح. وهناك بعض المجانين الذين ادَّعوا الأمل، كما يدَّعي البعض النبوة. قُبِض عليهم، وجُلِدوا في الساحة، فأقلعوا عن هرطقتهم في الحال. ترحّموا عليهِ في الأيام الأولى، وعاشوا حياتهم بلا أمل، فبدتْ أطيب مع الألفة والوقت، وعندما يوسوس الأمل في صدورهم، يلعنونهُ كما نلعن الشيطان.

حياة مستعملة

بدا صباحهُ مجعَّدًا مثل قميص، وفي الظهيرة برزت بعض البقع الدائرية، فكأن أحدهم ارتداه قبلَهُ ولطّخهُ بعرَقِه. عاد إلى المنزل، واستحم أكثر من مرة، بيد أن الوسَخَ كان في يومه لا في بدنه. «هذا يومٌ مستعمل»، قال لنفسه واستفرغ.

من استخدم يومه؟ ومتى بدأ الأمر؟ هذه بالتأكيد ليست أول مرة. ألا تكون حياته كلها مستعملة؟

لطالما لازمه منذ الصغر هاجسٌ بأنه يعيش حياة رجلٍ آخر، وبأن هذا الآخر يعيش حياته، فهو يشعر على الدوام بأنهُ ينتمي إلى زمنٍ آخر، ووطنٍ آخر، ولغةٍ أخرى، وأسرةٍ أخرى، حتى أحلامه كلها تدور في زمنٍ آخر، وكوابيسه أيضاً.

أن يستنفد ذلك الرجل حياته ثم يعيشها هو، بدا الأمر فوق طاقته. فكر أن الوغد لا بد قد سبقه إلى حياةٍ أسهل، ودخلٍ أكبر، وامرأةٍ أجمل. يلتفت إلى زوجته القلقة، فتنتبهُ، وتبتسم. كم ستعذبها أفكارهُ لو تدري، لكنه يحبها، بل ويحبها جداً في بعض الأيام. كلما

نامت، أطال النظر إليها متأمّلًا، واطمأن. لطالما استيقظ قبلها فقط ليتأملها وهي نائمة.

يشعر بالرضى، ويهمهم: « لا بد أن الوغد لم يحسن الاختيار». يضحك، فتسأله زوجته: «هل تشعر بتحسّن؟».

الذي لا يستطيع الدخول

لا يمكنه الدخول، ليس لأنه نسيَ المفاتيح، فهي نادرًا ما تبرح جيبه، ثم إن الأبواب ليست كلها مغلقة، بعضها مفتوح وبعضها الآخر بلا قفل.

عندما يُقفلُ الباب، أي باب ما عدا باب الزنزانة، فلأن مَنْ في الداخل عادةً لا يرحب بمَنْ في الخارج. يوشك الباب في هذه الحالة أن يغدو جدارًا لولا الأمل. لا أعتقد على أي حال أن هذا هو السبب، بالعكس، يبدو الرجل أهلًا بالترحيب، ولو طرق بابي لفتحته بلا تردد.

لسوء حظه، ليس هناك جرسٌ فيقرعه، أو ربما لحسن الحظ، فبعض الأبواب لا تُطرَق أكثر من مرةٍ واحدة. لو وُجِد الجرس لحُلتْ معضلته في دقائق بدلًا من الانتظار، إما أن يدخل وإما أن ينصرف إلى بابٍ آخر. ولكن غياب الجرس ليس السبب أيضًا.

لا يستطيع الدخول لسببٍ آخر، شديد البساطة والتعقيد في آن، مثل ألّا يكون هناك باب.

سيقول البعض في هذه الحالة إنه في الداخل أصلًا. تخيلوا المأساة، أن يقف أحدهم في الداخل طوال الوقت ظانًا أنه في الخارج. ويقول آخرون إن من في الداخل هم في حقيقة الأمر في الخارج. وهذه بالطبع مأساة لا تقل عن الأولى. سيثورُ أحد الحمقى معترضًا: «لماذا لا يخرج إذن ليتأكد؟» ويقاطعهُ أحمق آخر: «ولكن كيف يخرج! أين الباب؟».

اللذانِ لا يستطيعانِ الخروج

قال: «إن الحياة في هذا البيت لم تعد تُطاق»، وغادر. كان في ما مضى يكتفي بصفع الباب فقط فتصالحهُ على الفور، أو تصفع الباب هي الأخرى فيتراجع عن غضبه ويتصالحانِ بصمتٍ دون حاجةٍ إلى الاعتذار.

لطالما تبادلا تلك الصفعات، خصوصاً في الشجارات الحادة، وقد بلغ بهما الحال ذات يوم أن أمسك كلٌّ منهما مقبض الباب لساعةٍ كاملة، وصفعه بكل ما أوتي من قوة حتى ظن الجيران أنهما سينفصلانِ حتمًا هذه المرة أو على الأقل سينفصل ذلك الباب.

خطر لهما أن يخلعا الأبواب كلها فلا يتعاركانِ مجددًا، وقد أقلعا عن العراك فعلًا في اليوم الأول، غير أن الفراغات المستطيلة كانت توسوس لهما بالهرب. أدركا أن الأبواب لا تمنع الآخرين من الدخول كما يعتقد الكثير، بل تمنع الناس من الخروج. أعادا الأبواب في اليوم التالي وبعد يومين أو ثلاثة عادا لصفعها.

تعرف هي أن الحياة في البيت لم تعد تُطاق، لكنها تعرف أيضًا أنها لا تُطاق في أي مكانٍ آخر. ليس هذا ما يقلقها، الحقيقة أنها

المرة الأولى التي نسي أن يصفع فيها الباب. سيتذكر ذلك بعد دقائق ويعود بسرعةٍ، وكم سيبهجها ذلك.

شارب فريدا كالو

لم تنجب حتى الآن، ولا يظنها ستنجبُ أبدًا.

كانت السنوات الأولى سنوات ترقُّبٍ عظيم. يفرحانِ كلما تأخرت الدورة الشهرية يوماً أو يومين، ويغضبانِ كلما بكَّرت وإن تظاهرا بغير ذلك. في السنة الرابعة تقبَّلا الأمر على مضض. لم يذهبا إلى عيادات الإنجاب. كان هذا رأيه، قال بوضوح إن هذه الفحوصات سوف تهدم الذي بينهما إن عاجلاً أو آجلاً. لا، لم يذهب وحده إلى الطبيب، لا تأخذكم الظنون، ولم تذهب هي أيضًا وإن كانت قد حجزت موعداً، وتخلفت عنه في اللحظة الأخيرة.

كان عندهما في الحقيقة بصيصٌ من الأمل حتى السنة السابعة. قال في سريرته وهو يتأملها: «إنه القدر، وعندما تصل الأمور إلى هذا الحد، من الأفضل أن يذعن المرء راضياً». قالت في سريرتها وهي تتأمله: «إنه القدر، ولو سخِط المرء وخبط الأرض بأقدامه كالأطفال، سيذعن أيضاً».

كانا مثل سائر الأزواج يتخاصمانِ على الأمور الصغيرة أكثر من الكبيرة، والخصام أمرٌ صحّي بل ضرورةٌ حياتية. وكانت في البيت

غرفةٌ خاصة للخصام، ينعزل فيها أحدهما عندما تتعقد الأمور، فلا يخرج قبل أن يعتذر الآخر.

حمل الزوج وسادته وفراشه دون أن يتخاصما هذه المرة، ومضى إلى تلك الغرفة، ولو تأخر قليلاً لسبقته الزوجة إليها لأنها كانت تنوي فعل الأمر نفسه.

لم يحدث شيء تقريباً لولا أن شعره أخذ يتساقط، شعر الجسد لا الرأس، لأن شعر الرأس كان ينمو بغزارة حتى انحدر على كتفيه في الوقت الذي راح جسده يتحول تدريجياً إلى جسدٍ أمرد. استدار صدره العريض، وصارت أثداؤه تندفع شيئاً فشيئاً إلى الأمام، حتى صار يخفيها تحت قمصانه الواسعة. وصغُر ما بين فخذيه إلى أن استيقظ في أحد الأيام فلم يجده.

كانت أياماً عصيبةً عليهِ وعليها أيضاً. اخشوشن صوتها، وجفت حلماتها، حتى صارت مثل الزبيب. وتسطحت مؤخرتها المستديرة، فصارت كالمقلاة، وظهر عندها ما افتقده زوجها، وبدأ يكبر يوماً تلو الآخر.

ما زال في غرفته وما زالت في غرفتها. يخرجانِ فقط ليتناولا الطعام معاً، ولكن بصمت. كلما سقطت شعرةٌ من شاربه نبتت تحت أنفها، حتى صار لها شارب فريدا كالو، وصار الأمر في منتهى الوضوح.

ارتدت قميصه الأزرق، فناسب مقاسها الجديد، وعندما وقف أمام المرآة ليجرب بيجامتها الوردية بدا مثل طائر الفلامينغو حتى إنه وقف لدقائق على ساقٍ واحدة. عادا للنوم معاً، ولترقب الدورة الشهرية مثلما كان الأمر في السنوات الأولى، بل وأكثر.

التوأم

إذا كان الأمل يُشبه شابًا لم يفقد حتى الآن أيًا من أفراد عائلته، فلا بد أن اليأس قد خسر للتو عائلته كلها دفعةً واحدة. لكن العكس أحيانًا صحيح. يتهدم البيت، وتظهر من تحت الأنقاض يد الأمل، بينما يشنق اليأس نفسه في سقف القصر، فلا تدري أيهما المنكوب وأيهما الناجي. لو جلسا جنباً إلى جنبٍ، لما استطعت التفريق بينهما. يبدوانِ مثل شقيقين بل توأم. الشبه لا يقتصر على هذا فقط، فعندما تنظر إليهما تجد براءة هابيل، وما إن تمعن النظر حتى ترى في يد كلٍّ منهما، مثل قابيل، صخرةً كبيرة.

الرياض طوكيو

توقفت ساعة الحائط، ولم يتوقف الزمن. عاد مرهَقًا من العمل، فألقى جسده بدلاً من الحقيبة على الصوفا، وغط في النوم. وعندما استيقظ، وجد ساعة الحائط تشير إلى الواحدة، كما لو أنه في شرق آسيا، في طوكيو مثلاً، بينما تشير ساعة الموبايل إلى السابعة، كأنه لم يغادر الرياض. أما الظلام خلف النافذة، فلا يؤكد هذا ولا ينفي ذلك، يبدو كثيفًا على اليمين وخفيفًا جهة اليسار، لكن من المؤكد أن الليل في الخارج.

لو أنه يعيش في طوكيو وفي الرياض في الوقت نفسه. بدا الأمر ممتعاً، بل وحقيقياً في الوهلة الأولى، إذ راح يُهمهِم في ما يشبه اليابانية بعض قصائد باشو. وقبل أن يبحث في خزانته عن كيمونو أزرق، خطر في باله أنه لا بد على علاقةٍ مع فتاةٍ نحيلة تدعى نانامي أو هيناتا لها نقرتان أسفل ظهرها. إنها الواحدة ليلاً، ولا يعرف لماذا لا يستلقيانِ ويلامس ظاهر قدمه باطن قدمها الآن. لا شك أنه قد أفسد الأمر كالعادة. حتى في طوكيو! وبينما هو يلوم نفسه، قرع

الجرس مالك الشقة، وحدثهُ عن الغلاء، ثم طلب منه ألّا يتأخر عن السداد هذه المرة. بدا المالك عنيداً بما يكفي ليلحق به قاطعاً كل هذه المسافة. أغلق الباب، ثم سارع لتغيير بطارية ساعة الحائط، خوفاً من أن يداهمه في الصباح عجوز ياباني خَرِف، يطلب منه هو الآخر أن يدفع الإيجار.

سعال

كان جدي يسعل طوال اليوم كما لو أن شيئاً قد علِق في جوفه. كلما سعلَ تزحزح قليلاً ذلك الشيء ثم عاد إلى مكانه. هكذا يقول جدي. أما الطبيب، فيخبرنا أن جدي أكثر عافيةً من أبنائه، بل وحتى من أحفاده.

كان يسعل حتى أثناء النوم فيبدو كمن يلفظ أنفاسه الأخيرة. وحالما يفتح عينيه يتنحنح لدقائق، ثم يشتبك مع السعال، فيطرحهُ يمنةً ويسرة مثل رقّاص الساعة. يشرب الماء، ويعاود السعال بوتيرةٍ مغايرة. يشرب ويسعل، حتى يُنهَك تماماً، وينام.

كان سعاله يملؤني بالطمأنينة، لطالما فكرت بأنه سيكون كافيًا لِيتراجع اللص، ويغير وجهته إلى بيتٍ آخر. وبمرور الوقت صار سعاله أقوى حتى بات يتردد في محيطِ قُطرهُ ثلاثة أحياء سكنية، خلتْ تمامًا من حوادث السرقة. استعان به رعاة الغنم، فطرد الذئاب بعيدًا، وعلَّموا كلابهم كيف تسعل مثله بدلًا من النباح. وعندما عرض أحد التجار على جدي حراسة مخازنه رفض أبي بشدة مع

أن جدي بدا متحمساً للفكرة، ليس فقط لأن العقد مُغرٍ، ولكن لأنه سئم الحياة الرتيبة للمتقاعدين.

زاد سعاله حتى أقلق راحة البلدة. كلما فتحنا الباب، وجدنا أحدهم يتذمر من جدي، أو يلقي علينا دواءً جديدًا للسعال، حتى تكومت الأدوية عند الباب مثل أكياس القمامة. وعندما نفاتح جدي في الأمر يشرع في البكاء، ويقول إنه لا يمكن أن يموت قبل أن يخرج ذلك الشيء من جوفه.

تسلل فجرًا من البيت، ولم نعد نعرف عنه شيء. زعموا أنه عضَّ أحد الأطفال وأصابه بداء الكَلَب، حتى إن أبي جاء بكمامةٍ وسلسلةٍ كبيرة وقال: «سأحبسه في القبو حالما أعثر عليه».

رغم مضي ثلاث سنوات على رحيله. كلما سعل أحدنا، أجهش أبي بالبكاء.

ضعِ الرأس أولاً

يصحو، يوقظ برقَّةٍ رأسه النائم بجواره. يحملهُ ويغرِزهُ جيدًا بين كتفيه، حتى لا تخلعه الريح مثل قبعة وتلقيهِ على الأرض. سيتسخ في أحسن الأحوال كما حدث أمس، فينفضهُ من التراب والغبار. قد ينثلم أو يعوَجّ، فيضطر إلى إصلاحهِ مرةً أخرى، أو يحدث ما هو أسوأ: تركلُ رأسهُ ريحٌ قوية فتدحرجه بعيدًا ويضطر إلى اللحاق برأسه. يجري الرأسُ مثل أرنبٍ أو لص، ويجري الجسد خلفهُ مثل كلبٍ أو شرطي.

عندما يتأخر عن العمل، يخرج مستعجلًا، فينسى رأسه، ينبّههُ زملاء العمل فيعود إلى البيت. يمسك رأسه هذه المرة بيده مثل خوذة، ولكن القوانين هنا تمنع منعاً باتاً السير بلا رأسٍ في الشارع.

يمكن لرجل المرور حينها أن يوقفهُ، أو حتى أن يزجَّ به في السجن. لن تجدي استعطافات من نوع: «عذراً، نسيت»، «رأسي ثقيلٌ جداً ويؤلمني حملهُ طوال اليوم»، «بصراحة لم أجد رأسي هذا

الصباح»، «الخادمة سرقت رأسي»،... كما لن يجدي أيضاً الغضب والانفعال: «حتى أنت أيها الشرطي نسيت رأسك قبل يومين».

على المرء أن يتحسس رأسه بين الفينة والأخرى، مثلما يتحسس مفاتيحه، الكل يعرف ذلك، لا عذرَ لأحد.

يجب أن يكون الرأس في مكانه المخصَّص له. لا يهم أن يكون الوجه في الاتجاه الصحيح، يمكنه أن يكون على أي جانبٍ، بل وحتى في الخلف. المهم أن يكون هناك رأس، أيّ رأس.

حوادث الأيام

أُطلُّ من النافذة على أيامي.

يقود الثلاثاء بحذر رجلٍ في الستين سيارةً من طراز تويوتا، لا يتجاوز السرعة القانونية، ويلتزم بتعليمات المرور. أما الأربعاء، فيقفُ خلفهُ في محطةٍ ليتزود بالوقود وبعض الحلويات والمشروبات الغازية.

أكاد أسمع هدير محرِّك البورش ليوم الخميس، سيقودها باستهتار شابٌ وسيمٌ يُشبه جيمس دين. يبدو أنه هو فعلاً إذ يلقى مصرعهُ كل مرةٍ بعد أن تنكسر عنقه إثر حادثة ارتطام بسيارةٍ أخرى. ربما كانت الجمعة، أظن أن تلك السيارة تخص طلَيقتي. لا أدري لماذا تتعمد هذا الحادث نهاية كل أسبوع، ولا أدري لماذا لا يتفاداها هو الآخر. سئمتُ من تنبيهه كل مرة، ألوِّح بيدي محذِّراً ولكنه يزيد من سرعته كلما اقترب من هذا التقاطع. ألا تكون المشكلة في المكابح؟

كلما هاتفت طليقتي متوسلاً بأن تتجنب الارتطام بأيامي، تغلق الهاتف، أو تعطيه لزوجها فيشتمني ويهددني بالقتل.

ستأتي الجمعة للأسف بعد فوات الأوان، مثل سيارة إسعافٍ متأخرة. أما الأحد فعربة مصفَّحة تحيط بها من الأمام والخلف مركبتان للشرطة: السبت والاثنين.

وهكذا تسير أيامي، الإشارات الضوئية إما عطلانة وإما مسروقة. من يصدِّق أن هناك من يسرق إشارات المرور؟ ربما كان اللص مهووساً بتنظيم أيامه.

حتى الشهر لا أتمكن كل مرةٍ من اللحاق بحافلته. أصِل متأخراً بضع ثوان، أركض خلفه ملوِّحاً فيشير بيدهِ أنِ انتظر باص الشهر القادم. وعندما أنتظر في موقف الباصات يتجاوزني الشهر بنزقٍ متحجّجاً بامتلاء مقاعده الفارغة.

تسللتُ ليلاً إلى باص الشهر الذي يليه، واستلقيت على مقاعد الصف الأخير، وفي الصباح فوجئت بأن الباص خارج الخدمة.

عدتُ إلى الشقة، وأغلقتُ النافذة بالطوب. ما عدت أنتظر، ومع ذلك، بين حينٍ وآخر، تتوقف أيامي بكل لؤم وتدعوني إلى مرافقتها، لكنني أتجاهلها بالطبع.

الغول

ـ لا، لم تكذب جدتك.

ـ ولكنها تبالغ دائمًا.

ـ صحيح.

ـ سمعتها أكثر من مرة تروي القصة نفسها بطريقةٍ مختلفة بل حتى متناقضة.

ـ أعرف. الجميع يعرف ذلك. لقد اكتسبت شعبيتها في الأساس من ترديد الأكاذيب، ولكنها تقول الحقيقة هذه المرة.

ـ معقول؟

ـ نعم، فالكل رأى بعينهِ ما حدث.

ـ ولماذا لم تفعلوا لأبي شيئاً؟

ـ لقد رأيناهُ في المنام. (يتنهَّد).

ـ في المنام؟

ـ نعم ولسنةٍ كاملة. الكابوس نفسه كل ليلة. نصحو مبللين من العرق حتى صار الرمل ملحًا تحت أقدامنا. فرَّ البعض، ولكن الكابوس ظل يطاردهم أينما رحلوا. لذا عادوا خفيةً الواحد تلو الآخر. لم نقُل لهم شيئاً، فقد كان الجميع ينوي الهرب، حتى أنا وجَدّتك، ولكن المأساة لم تتوقف عند هذا الحد.

ـ إذن؟

ـ كنا نصحو على كابوسٍ آخر.

ـ ماذا؟

ـ ما إن نصحو حتى نسمع طقطقة عظامه مهما سدَّ أحدنا أذنيه بالقطنِ أو بالحصى. عظمة تلو عظمة، تلو ثالثة، تلو عظمةٍ خامسة، تلو عاشرة، تلو عظمتهِ المئة، المائتين، وحتى الأخيرة. كان أنينه يتضاعف في كل مرة، كنا نتألم مثله، بل أكثر منه. كانت أسناننا تصطك ببعضها مثلما يفعلُ الزلزال بمقبرة. سنةً كاملة من الهلع حتى هبّت تلك الرياح البيضاء وحثت على وجوهنا رفات عظامه.

ـ وهل يمكن للأمل أن يفعل به كل هذا؟

ـ وأكثر يابني، وأكثر.

عبدالله ناصر

أُشبِه كثيرًا عبدالله ناصر، وهذا ما يجعل الناس يخلطون بيننا طوال الوقت، حتى الأصدقاء للأسف، أصدقائي وأصدقاؤه، فأضطر عبثاً إلى التأكيد على أنني أطول منه قليلاً وأنه أسمن مني، صحيح أنه أكثر وسامة لكن في المقابل أنا أذكى منه بكثير، وإذا كنت أكذب، فلِكي أبدو لطيفاً فقط، بينما هو يكذب ليخلص نفسه من ورطةٍ أو مأزق، هناك فرق. حتى لهجاتنا تختلف، وطريقتنا في المشي والضحك، و... ولكنهم يقاطعون حديثي دائماً: «لماذا أقفلت هاتفك؟» أو «لا تتأخر الليلة».

الأسوأ من ذلك عندما ألتقي به في الشارع أو في المطعم. يبدو الشبه صاعقاً، أشك أن تعرف المرآة أو الكاميرا فروقاتنا الصغيرة، أشك أن تعرفها زوجتي أو حتى زوجته. أظنه يخلط أيضاً بيننا، لأنني بصراحة أخلط في بعض الأحيان بيني وبينه.

كنت قد حذرته في لقائنا الأخير: «عليك أن تغادر المدينة في أسرع وقت، أو فلتنتقل على الأقل إلى حيٍّ آخر، أو في أسوأ الأحوال أن تتوقف عن العيش معي في البيت نفسه.»

المعجم

لم يكن يعرف غير بضع كلمات، سبع أو ثمان، يؤويها في فمه مثل دارٍ للأيتام. يرعاها طوال اليوم، يعتني بلباسها وطعامها، ويحتمل شجارها اليومي حين تتسابق إلى الطعام أو إلى النوم في الأسِرَّة العلوية.

كبر قليلًا فاكتظّ فمُهُ بعشرات الكلمات، ثم بالمئات ثم بالآلاف حتى بات يُشبه مخيمات اللاجئين.

كلمات كبيرة فوق اللسان وتحته، وكلمات صغيرة تلتصق بالأسنان كما يلتصق الصغار بنوافذ السيارات، وكلمات ندم عالقة في سقف الحلق كالبالونات، وكلمات فقدٍ سيغصُّ بها يوماً ويختنق ما لم يسعفه أحدهم بضربةٍ في الظهر.

كان مثل المعجم أبًا حنونًا لكل الكلمات، لا يفرّق بينها أبداً، كبيرةً أو صغيرةً، جميلةً أو دميمةً، بيضاء أو سوداء، ولكنه مثل كل الآباء لا يمكن أن يكون عادلاً. يفضّل في سريرته كلماتٍ بعينها، وإن لم تكن الأجمل. يميل، وإن لم يعلنها أبدًا، إلى الكلمات

القصيرة، ثلاثية الحروف، ويطربه أن يتكرر الحرف أكثر من مرة فإذا صادف إحدى حروف العلة في المنتصف كانت تلك الكلمة لازِمته الدائمة.

يترك باب فمه مفتوحًا طوال الوقت، تدخل الكلمات ولا تخرج أبدًا، حتى عندما يضطر إلى الكلام كان يستعين بيديه فقط.

ساعات مفقودة

انكمش اليومُ، حتى صار طوله ثلاث ساعات. ولما استيقظ السكان أدركوا في الحال أن اليوم بات قصيرًا للغاية. لم يبق منه غير الثُمن فقط. يبدأ من الثانية عشرة صباحًا وينقطع بنهاية الثانية ليلًا حتى صارت الواحدة ظهرًا منتصف اليوم. ما عادت ساعات اليد أو الحائط دائرية، صار لها شكل المخروط. لا أثر للسادسة صباحًا، ولا الرابعة عصرًا، ولا الثامنة مساءً، ولا... اختفت كلها دفعةً واحدة ـ واحدة وعشرون ساعة بالضبط ـ ولا أحد يدري كيف ولماذا.

خرجوا جميعًا للبحث عن الساعات المفقودة، ومن لم يخرج بقي لحراسة الساعات الثلاث. لم يجدوا شيئًا، زعم أحدهم أنه عثر على العاشرة صباحًا ملقاةً بالقرب من الشاطئ مثل حوتٍ أبيض. حاول أن يحملها وحده، فلم يستطع، ولم يصدّقه أحدٌ بالطبع. متى كانت الساعة العاشرة حوتاً أبيض؟

قسموا الساعات الثلاث كالتالي: ساعة للنوم ومثلها للعمل وساعة فقط لممارسة الحياة. بات عليهم أن يضاعفوا من سرعة كل

شيء، المشي، والأكل، والكلام والصمت، والخصام والصلح... ومع ذلك لم يستطيعوا التأقلم. يصاب أحدهم بالإمساك فيفوته نصف اليوم أو يستغرق في النوم فيفوته نصف الأسبوع.

كان على الآباء أن يضحّوا أسوةً بالأمهات وينفقوا على أبنائهم بعضًا من ساعاتهم الشخصية. أما الأيتام فعاشوا على المساعدات الشحيحة لفاعلي الخير.

اجتاح العوز والفاقة أرجاء المدينة فكثُر اللصوص والمتسوّلون حتى غدا من المألوف أن ترى أحدهم يركض سارقًا خمس دقائق من امرأةٍ عجوز أو ربع ساعةٍ من طفلٍ نائم. ما حاجة كبار السن إلى الوقت؟ ما حاجة الأطفال أيضاً إذا كانوا سينسون كل شيء حالما يكبرون قليلاً؟

وبعد سنةٍ أو أقل تقلصت الساعات الثلاث حتى صارت ساعةً واحدة. مات نصفهم بالسكتة، وثلثهم في الجلطة، ونجا التعساء. كيف يمكن العيش في يومٍ لا يتجاوز طوله ساعةً واحدة؟ ترحَّموا على الساعات الثلاث، كم كانت كافية وطويلة، بل ومضجرة في بعض الأحيان. تدافعت الأيام فاختلطت عليهم مثل رجال الكهف، وليس هناك كلبٌ ينبح فيبدد الفزع، ولو قليلاً.

ذائقة

كلما جلسا معًا تخيَّلها موديلاً لفان دونغن، وقدَّر أنه لو رسمها من هذه الزاوية، أو تلك، أو أي زاوية أخرى، وعُرِضت لوحته في مزاد سوثبي لبلغت قيمتها مئات الملايين من الدولارات.

كل إيماءةٍ ببورتريه حتى يعجّ مسكنهُ باللوحات ويتحول إلى متحف. لا بد حينها من حارسٍ، ولن يجد من يحرس بأمانتهِ ويقظته، كما لن يجد من يخطط لسرقته مثلما كان سيفعل هو، لو لم يكن المالك.

لا يصدّق حتى بعد سنواتٍ من زواجهما أنها تستلقي بجانبه كل ليلةٍ مثل ذراعه. ود لفرط جمالها لو يضع الدبلة في إصبع قدمها. تغمره السعادة فيندفع وراءها قائلًا: «أحبك» حتى عندما تكون مشغولةً بالصلاةِ، أو بمهاتفة أمها.

تُحِبّهُ هي أيضًا، ربما أكثر منه، وتوقظه أحيانًا من النوم لتُخبرهُ بذلك. تروق لها الحُلي، والأحجار الكريمة، وأقراط اللؤلؤ، والأوشحة الخضراء، والقبعات المزينة بالورورد بل وحتى تلك

الفازة الغريبة التي أهداها لها في عيد ميلادها. له ذائقةٌ غريبةٌ ومتوحشةٌ مثل فان دونغن. كلما راح يدخن، بدت السيجارة في عينها أشبه بفرشاة، ومنفضة السجائر باليته. تتساءل في سرِّها: لماذا لا يطلق لحيته مثل فان دونغن؟ ومتى يأتي اليوم الذي سيكشف فيه عن محترفه السرّي؟

نقش.. كتابة

لم تنجبهُ الأمثال لكنها ربَّتهُ صغيراً فأحسنَتْ تربيته، وحين يدعو لوالديهِ بالرحمة لا ينسى أن يدعو للأمثال أيضاً لأنها الأم التي لا تغضب، والأب الذي لا يضرِب. أقصى ما يمكنها فعله هو أن تشدَّ أذنه بمثلٍ قديمٍ يلومه ويحذّره من تكرار الخطأ ولا شيء غير ذلك.

كانت الأمثال في سنوات المراهقة تُسيِّر حياته بطريقةٍ جيدة، بل ورائعة، حتى زادت بشكلٍ مهول حصيلته منها وصار لديه المثل ونقيضه، فما عاد يدري أيهما الصواب وأيهما الخطأ. أخذتِ الأمثال تتنازعه مثل الملائكة والشياطين، يشد المثل ذراعه الأيمن، ويجذبه في الوقت نفسه مثلٌ آخر من اليسار، حتى كادت تتمزق ثيابه وعضلاته.

تمنى لو يسكّ كلَّ مثلٍ ونقيضه في قطعةٍ نقدية، وحين تدعوه الحاجة، يقذفها بإبهامه في الهواء ويتلقفها براحة يده، فيظهر النقش أو الكتابة، لكن نقف النقود في النهاية مسألة حظ.

بدت الأمثال مثل الأعشاب، فيها النافع والضار. تساءل، ماذا لو نقعها في الماء، واستخلص منها ما يريد، ثم خلطها بأمثالٍ أخرى ليصنع أمثالاً جديدة؟ لو نجح سيغدو أول من يمتلك «دليل استخدام الحياة».

حادثة اختطاف

بدأت الحكاية عندما قاد الرجل سيارته. لا أحد يعرف ما حدث قبل ذلك. سلك طريقًا يعتقد أنها الأقصر إلى وجهتِهِ التي كان يقصدها، وفي لحظةٍ ما شعر بفوَّهة مسدس باردة تلامس مؤخرة عنقه، وعندما تشجع على النظر إلى المرآة الخلفية لم يجد أحداً.

لن يستعيد أنفاسه وطمأنينته، لأن المسدس صار يضغط بشكلٍ أكبر، وعليهِ أن يتحلى بشيءٍ من حكمة المختطَفين، إن وجِدت، وفي هذه الأثناء تجاوز وجهته، لأن من البديهي أن الخاطف، وإن لم يتفوه بكلمةٍ واحدةٍ حتى الآن، لا يرغب في الذهاب إلى هناك.

حاول أن يستجمع شجاعته ويسأل لماذا أو ما الأمر، لكن من يحمل المسدس في الغالب قد حسم أمره، ولم يعد يفضِّل الحديث أو التفاوض.

أدركَ متأخراً أنه حتى لو ترك المقود أو انحرف بقوةٍ إلى أي اتجاه فلن يتوقف عن المضي إلى الأمام بالسرعة ذاتها. صار الطريق هو من يقطعهُ الآن لا العكس، مع أنه لا يزال بكل قوةٍ يَمسِك المقود بيديه المتعرقتين، حتى لكأنهُ هو المقود، ولكأنه هو الخاطف أيضاً، ولا أحد يعرف ما حدث بعد ذلك.

الخوف من الطيران

يخاف ركوب الطائرة، ويشكو من رهاب الطيران. ما أفظع أن يبقى المرء عالقًا في السماء، ما أفظع أن يبقى المرء عالقًا في الأرض أيضًا.

يخاف المطارات، وتخفق كُليتاه من الذعر كلما قاده الطريق بالقرب منها. وعلى الرغم من ذلك، بات يوقظه مؤخرًا صوتٌ يردّد تعليمات السلامة: «لسلامتكم وراحتكم تقتضي قوانين الهيئة العامة للطيران المدني التقيد بالإشارات المضاءة، وتوجيهات الملّاحين.. في حال انخفاض الضغط، سوف تسقط أقنعة الأكسجين تلقائياً.. ضع قناعك أولاً في حال الهبوط الاضطراري..».

يثب من سريره هلعًا، يسد أذنيه، ولكن الصوت يعلو كل مرةٍ كما لو أنه يندفع من فمِ دائنٍ ساخط أو من ضميرٍ يقظ. يفرش أسنانه على عجل، ويحزم حقيبته بأسرع وقتٍ ممكن. يتفقد مضادات الهيستامين في جيبه، ويُمضي اليوم في ترقب المسافر وقلقه.

اعتاد على ألم الأذنين، وألم الابتسام للمضيفات. وإذا تمايل

في مشيته فذلك لأن الطائرة تمر بمطباتٍ هوائية. في المساء يصله صوت الكابتن وهو يعلن للركاب عن الهبوط، ثم عن الوصول بالسلامة، ويتمنى لهم إقامةً سعيدة.

وعندما لا يسمع شيئًا يخمّن أنها رحلةً دوليةً طويلة. يشعر فورًا بالإرهاق، ويشكو بعدها لأيامٍ من الـ(جت لاق).

أما اليوم، فما عاد يصله أي صوت، لا كابتن الطائرة، ولا تعليمات السلامة. ما الأمر؟ هل ثَمَّ عطل في الطائرة؟ متى ستقلع؟ يتمنى لو كان الراكب الذي بجوارهِ أقل تجهّمًا فقط ليبادر إلى سؤاله.

ما تفعلهُ أجسادنا أثناء النوم

ننام، نغط في النوم، يسيل لعاب بعضنا ويشخر، ويبقى البعض الآخر مهذّبًا حتى أثناء النوم. ننام فتنهض أجسادنا لتعيش حياتها المستقلة، وكما نجرّها أثناء الصحو، تجرنا أثناء النوم، وإلّا لماذا نصحو متعبين في بعض الأيام؟

ما إن ننام، حتى تتقيأ أجسادنا كل المنبّهات، والمنوِّمات أيضاً، بل وحتى الأطعمة التي لا تروق لها، ولولا أن بعض الأجساد أكثر وعياً من مُلّاكها لاستفرغتْ حتى الأدوية.

تمضي الأجساد إلى المطبخ لتناول الإفطار، فإن لم تجد ما تشتهي، طرقَت أبواب الجيران فتبادلت الحديث والشكوى. ليس بالضرورة أن يكون ذلك الجار من أصدقائنا، ربما كان عدوّاً. للأجساد صداقاتها الخاصة، وهذا ما يجعلنا نرى الكثير ممن لا نعرفهم في أحلامنا، وهذا ما يجعلنا أيضاً نشعر بمَيلٍ خفيٍّ إليهم في أوقات الصحو.

ما كنت لأعرف كل هذا لولا اللوثة التي أصابت جسدي فتحول إلى نباتي. كنا نجد السعادة والسلوى في اللحوم والسجائر حتى

راح يقدّس الألياف والبقوليات. كلما نمت تقيأ شرائح الستيك. أصحو فأتقيأ بدوري الخضروات المسلوقة التي سهر على تناولها. كان يرمي سجائري ويدسّ في جيوبي علكة النيكوتين. ظننت حينها أن طليقتي تشجعني على الإقلاع عن التدخين. كانت المسكينة تلتزم لشهور بحميةٍ قاسية، ولأن جسدها لم يتبع هذه الحمية لم ينقص وزنها أبدًا.

كنا نعاني بسبب أجسادنا، لعلها كانت تعاني بسببنا أيضًا. لم تتوافق أجسادنا أبداً. في الصحو نبدو زوجين مثاليَّين ولكن بمجرد أن تضع رأسها على كتفي وأترك يدي على خصرها حتى يشتبك جسدانا في شجارٍ عنيفٍ أثناء النوم. نصحو على كدماتٍ خضراء وخوفٍ أزرق. خشيت أن يؤذي أحدنا الآخر، فطلّقتها.

أعيش وحدي الآن مكرِّساً وقتي بالكامل لدراسة الأجساد ورصد سلوكها. عندما يكون الجسد سعيداً تغمرنا الأحلام، وعندما يكون في مأزق تقع الكوابيس، وما إن يتعقد الأمر حتى يتحول إلى جاثوم. البلل والانتصابات لا أظنها بحاجةٍ إلى الكثير من الشرح. غياب الأحلام يعني أن أجسادنا تشعر بالخمول وتوَدّ قضاء الليل كله في السرير، أو ربما كانت تخفي علينا أمراً فتعصب أعيننا كما نعصب أعين الخيل.

عندما نوشك أن نصحو تركض أجسادنا عائدةً إلى السرير، فتقفز فوقه، فنشعر كما لو أننا نسقط من الدور العاشر، ولكن بعض الأجساد بليدة، تتوه ولا تعود في الصباح، فيعثر عليها الناس في الشارع، ويصفعونها حتى تتوقف عن السرنَمة.

هاوية على الطراز المعماري الحديث

«لو انتظرتْ زها حديد قليلًا»، تأوَّهَ متحسّرًا.

وبعد دقيقة صمتٍ أضاف: «حسنًا، لا بد أولًا أن تكتسب الهاوية سمعةً حسنة. ليس من الحكمة أبدًا أن تقبع طوال قرونٍ في الأسفل. يمكننا أن نجعلها تصعد إلى الطابق العاشر مثلًا. ما المانع في أن تُطِل على البحر أو على حديقةٍ عامة؟ ولماذا يجب أن تزلَّ قدم أحدهم حتى يذهب إليها؟ يمكنه ركوب المصعد، وإن كان من هواة الرياضة، فليطلعِ السلالم. لا بد من لافتاتٍ كبيرة الحجم، مضيئة وثلاثية الأبعاد، تشير بدقةٍ إلى الهاوية حتى لا يتيهون عنها. دعوني أذكّركم بضرورة التوقيع على بعض الأوراق الرسمية قبل الدخول، إجراءات شكلية لا مفرَّ منها تتعلق بالتأمين وما إلى ذلك. أقترح أن نغيّر أرضية الهاوية، لتكون من السيراميك أو الباركيه أو حتى الرخام. أقترح أيضًا تعليق بعض النسخ غير الأصلية بالطبع لشاغال وكائناته الطائرة، لإضافة الطابع الفنّي وحِسّ الدعابة في الوقت نفسه. واي فاي مجاني، وصالة رياضة مزودة بأحدث المعدات. هاوية على الطراز المعماري الحديث دون أن يقلل ذلك شيئًا من أصالتها بحيث لا يفلح المستثمر في الخروج منها أبدًا».

الآخر

يخاف المرآة، يخاف أن تعكس صورة رجلٍ لم يلتقِ به من قبل، فيحدِّق إليه طويلًا ذلك الرجل، ولا يتزحزح عن مكانه حتى عندما يغادر الغرفة.

يخاف أيضاً ألّا تعكس المرآة صورته، أن يظهر كل مَنْ في المكان إلّا هوَ ينزلق إلى الجانب الآخر من المرآة، الجانب الرصاصي اللصيق بالجدار، حيث يتراكم الغبار فوق صورنا القديمة.

يُنزِل المرآة، ويجعل وجهها إلى الجدار، لم يكن على الإنسان أن يخترِع شيئاً مدمّراً كهذا. لو شاء الرب أن نحدّق في وجوهنا طوال الوقت، لجعل أعيننا في باطن أيدينا. يتساءل: أليس الإنسان مرآة الإنسان؟

يخاف المرآة إلى درجةٍ لم يعد يتوقف أمامها حتى عندما يغسل أسنانه، أو يحلق ذقنه، خصوصاً عندما يحلق ذقنه. يخاف، وفي يده موسى الحلاقة، أن يلتقي بالرجل الذي خرَّب حياته.

الصوت العجوز

شاخ صوته، تهدَّلت أجفانه، واحدَوْدب ظهره، وباتَ نَفَسهُ ينقطع بعد جملتين أو ثلاث كحدٍّ أقصى مما جعلهُ يستند بين الفينةِ والأخرى إلى جدارِ الصمت.

ولما ما عاد بمقدورهِ الكلام، استعان لبعض الوقت بالعكّاز ـ ثلاث سيقان لجملةٍ واحدة ـ حتى داهمه الروماتيزم. تصلّبت الكلمات، تيبَّست الحروف وصار من الضروري أن يستريح على الكرسي المدَوْلب، تلك العربة الحديثة، حيث يمكنه أن يكون الحوذيّ والحصان في الوقتِ نفسه ـ المشي على أربعٍ ولكن بطريقةٍ لائقة. يضع ملاءة الصوف المقلَّمة على الساقَينِ العَاجزتَيْنِ حتى تقيهُ نسائم القصص الباردة. يدفعُ صوتهُ بيديه، لا أحفاد يدفعونه، أو على الأقل يرتّبون سريرهُ الأبيض.

بلغ صوتهُ الثمانين صبيحة هذا اليوم، وفي هذا العمر يعرف المرء الكثير من الأشياء، ربما أكثر مما يجب، يعرف مثلًا بأن لا حرَج على العجوز لو بلّل نفسهُ بالكلمات.

غيب

كان يغطّ في النوم لزمنٍ طويلٍ مثل جثّة، ليس بوضعية الجنين، فلم يكن يفتقر إلى الأمان في ذلك العراء الأملس، بل مستلقياً بسعادة الغريق وهو يتهادى إلى قاع البحر. ولما وقعت تلك الحادثة المأساوية، وتعالى من حوله صياح الجميع استيقظ مذعوراً.

كان يعلم جيدًا بغريزته البدائية بأن النجاة توجب عليهِ أن يتجنب المقدّمة. ليس هناك ما هو أسهل من مقتل جنديٍّ في الصف الأول، سواءً في الحرب أو في الشطرنج. لكن الحكمة شيء، والقدرة على التصرف بحكمة شيءٌ آخر، كما يقول تقريبًا دوستويفسكي. لم يقرأ أياً من كتبه بالمناسبة، ليس لأنه لا يميل إلى الأدب الروسي، فهو لا يعرف القراءة أصلًا، ولكن لنومه المتواصل السعيد. ما حاجة المرء إلى الكتب عندما يكون سعيدًا؟

يتذكر جيدًا مأساة التدافع حين أخذ البعض يلقي بنفسه كما لو كان فردًا في فرقة الحشّاشين. كان عليهِ أن يتحسس الطريق بحذر

العميان، ولكنه انقاد رغماً عنه مع الجموع الهائجة حتى وقعتِ الكارثة. ها هو يعيش الآن في القرن النووي الواحد والعشرين. لم ترُق له الإقامة في المدينة، ولا القرية، ولا الريف، ولا الصحراء، ولا الساحل، ولا الجبل. جرَّبها جميعاً في محاكاةٍ بائسةٍ لحياته القديمة فوق تلك الأرجوحة العدمية، هناك في الظلام الدامس لبيضة الخصية الهائنة حين لم يكن أكثر من كروموسوم منسيٍّ وسعيد.

العالق في يوم أحد

لا يزال عالقًا في الأحد، بينما انتقل العالم كله إلى يوم الاثنين. يخشى أن يتحول الأسبوع إلى سبعةِ آحاد، يخشى أكثر أن تختلط عليه الآحاد فلا يعود قادرًا على تمييز الأحد الذي يعقبه الاثنين، فتدوم الآحاد الملعونة أسبوعًا آخر.

كلما اقتربت الساعة من الثانية عشرة ليلًا، فكر في القفز من نافذة الأحد، وليحدث ما يحدث، غير أنه في الحقيقة يخاف أن يرتطم بالجمعة. أن يعلق بالأحد أرحم بكثير من أن يعلق بالجمعة. إذا كانت جمعة واحدة في الأسبوع لا تُطاق، فما بالك بسبع جُمعٍ غليظة؟

مضت الآحاد الشاقّة أخيرًا، وجاء بصعوبة الأحد المنتظر. في ذلك الأحد الثامن على التوالي كان قد تآلف مع الآحاد وبات من الصعب عليه أن يخرج منها إلى الاثنين أو حتى إلى الخميس.

ثمة طريقةٌ واحدة فقط لكي يدوم الأحد إلى الأبد، لكنه ليس من أولئك الذين يرون في كل سقفٍ مشنقة. اقتربت الثانية عشرة ليلًا

وصار عليه أن يختار إما الأحد أو الاثنين. السبت؟ ليس من خياراته للأسف. الأحد أو الاثنين؟ الأحد أو الاثنين؟ الأحد أو الاثنين؟

فات الأوان وانتهى الأحد، ويا للقشعريرة التي تغمره الآن. لم يأتِ الاثنين ولا حتى الجمعة. هذا يومٌ غريب لم يعشه من قبل. متى تأتي الثانية عشرة وينتهي كل هذا؟ ينظر إلى الساعة، فيجد مكانها التقويم، يقلب صفحاته، فتطير الأيام مثل وطاويط فزعة.

بطاقة تبرّع

تصلبت أعضاؤها من اليأس، واحدًا تلو الآخر، حتى بات من الممكن التبرع بها إلى التماثيل المقطوعة.

تحول

أيقظ زوجته في الثالثةِ صباحًا، وصارحها قائلًا إنه يرغب في تغيير جنسه. قالت من دون أن تفتح عينيها إنها ترغب أيضًا في تغيير جنسها، ولكن ليس الآن، ربما غداً أو بعده.

دسَّت رأسها بين وسادتين، ونامت على الفور، متى صارت تنام بهذه الطريقة؟ تذكر أنها هي من باتت تعتليهِ مؤخرًا. لم يعترض آنذاك، بل لقد استحسن الفكرة، فالمنظر يبدو بديعًا من الأسفل كالوقوف تحت جبلٍ أو معبد.

ولكن هل تفكر حقاً في التحوّل؟ لا، لا بد أنها تسخر منه كالعادة. لعل هذا بالتحديد ما أوقعهُ في غرامها. حسّها الساخر من كل شيء، كانت تسخر حتى من نفسها، وإن لم يغفر لها أبدًا سخريتها منه.

تخيل شقًا صغيراً مكان شيئهِ، فتعوَّذ من الفكرة، وراحت يدهُ لا إرادياً تفتش هناك، حتى وجدهُ مربوطاً لحسن الحظ بشكلٍ جيد.

لو أنها فقط لم تنم لأخبرها أن الأمر ليسِ كما تتصور، لأنه يود

في الحقيقة أن يتحول إلى ثعلب. لطالما راودته تلك الأمنية، كان يرى نفسه ثعلبًا في أحلامه، يلهو في البرية، وفي لحظات الصحو الأولى يكاد يلمس فروه الناعم. ثعلب أحمر لا رماديّ، فالثعلب الرمادي قاطع طريق، وقطّاع الطرق كما هو معلوم ينتهي بهم الأمر إما بطلقةٍ في الظهر كما حدث لجيسي جيمس، أو ب167 رصاصة كما حدث لبوني وكلايد.

أعدَّ القهوة في الصباح وأتى بها إلى زوجته لأول مرة، صادف أنه كان يجرّب مريلة المطبخ، التمعت عيناها وحالما استدار صفعتْ مؤخرته وهي تضحك بلا توقف.

كيف تلعب ظلالنا الشطرنج؟

الجنود في المؤخرة، والملك في الصف الأول. الأحصنة عربية أصيلة، ليست كالبغال التي عندنا، يكفي أن تلكزها مرةً واحدة حتى تثب نحو الحجَر الأخير من الرقعة.

لا فيلة على الإطلاق، الفيلة خارج اللعبة. هل حدَّقتم يوماً إلى أعينها؟ تبدو دامعةً على الدوام، كأنها قد كفَّت للتو عن البكاء، أو توشك أن تبكي مرةً أخرى. أم تحدِّقون فقط في أنياب العاج وتحلمون بخلعها مثل ضرس العقل؟ هذه الأنياب التي يحملها أينما ذهب ليست للقتل، ولا تختلف كثيراً عن قرون التيس أو حتى الغزال، وإن كانت ستقوده يوماً إلى الانقراض. لا يمكن لكائنٍ بهذه الرقّة، وإن دلَّ حجمه على العكس، أن ندفعهُ كل مرةٍ إلى الحرب أو حتى إلى السيرك. لا تنخدعوا بطول خرطومه ولا قِصر ذيله. لو شاء لَمَلك الغابة، لو شاء لَمَلك المدينةَ أيضاً، وسحقنا جميعاً بقدمهِ العريضة.

لاعب الشطرنج الجيد أو حتى العادي لا يستعين بالوزير. الوزير ليس أكثر من تاجر، والتاجر لا ولاء له. مشغولٌ بالثراء لا المجد.

عندما يقع في الأسر، لن يتردد لحظةً واحدة في أن يفتدي نفسه بأي شيء.

يمكن للجنود أن يتمترسوا في مربعٍ واحدٍ خلف القلعة، حيث سيشعرون بالأمان لبعض الوقت كما لو أنهم عادوا إلى بيوتهم. لكن في القلعة، على عكس البيت، تتربص الأخطار في الخارج. يمكن للقلعة أن تصبح سجناً أيضاً عندما يُحكَم الحصار عليها، فإذا انهارت تحولت إلى مقبرة.

الأحجار إما سوداء وإما بيضاء، لا فرق، فالمعركة لا تدور فعلياً على رقعة الشطرنج، بل على ظل الرقعة. كلما تحركت الشمس تحركت الأحجار.

الخوارزمي

كان قد أقسَمَ في العاشرة من عمره أن يبرهن على عبقريته لرفاقه الحمقى، بل وللعالم أجمع. ثم أقسم بعدها مئات المرات أن يبرهن على مئات الأشياء الأخرى، ولأنه كان يُقسِمُ مثلما يعطس، نسيَ بالطبع.

وعندما وبَّخهُ المدير على مرأى من زملائه أقسم في سره أن يبرهن على صحةِ رأيه وعبقريته، فتذكر قَسَمهُ القديم. لقد حان الوقت، بل لقد تأخر كثيراً.

كان في الحقيقة قد أوشك على اكتشاف رقمٍ جديد. يقعُ بين الواحد والثلاثة، وبهذا يلغي الأعداد الفردية والزوجية، والأعداد المركبة أيضاً، ويعيد تعريف علم الجبر والفيزياء وحتى علوم الفضاء.

سيطول اليوم، وتزداد أيام الأسبوع، لتصبح نهاية الأسبوع ثلاثة أيام، ويطول الشهر والسنة، وتطول أعمارنا فلا نبلغ الستين إلا بعد جهدٍ جهيد، لا كما يحدث اليوم.

هذا الرقم الجديد سيغيّر العالم بأكمله حتماً، من دكاكين وسط البلد حتى صندوق النقد الدولي. سيزيد المال، فيتزحزح الفقراء أخيراً إلى الطبقة المتوسطة، ويُكاتف متوسطو الدخل أفراد الطبقة الغنية، وتنتهي الأزمة المالية إلى الأبد، ويتوقف السياسيون عن النظر بشراهة إلى خارطة العالم، كما ينظرون إلى قائمة الطعام، فتتوقف الحروب، وتنعم الأرض أخيراً بالسلام.

تبقّى فقط أن يعثر على ذلك الرقم، أن يحدِّق جيداً بين الواحد والثلاثة، لا بد أنه يختبئ هناك، كان قد شاهد قبل أيام رقماً سريعاً يومض بينهما في الآلة الحاسبة، وسينتظره الآن بغريزة الصياد وبالهِ الطويل.

٢

لا أحد يعرف بالضبط لماذا يكره الرقم ٢، مع أنه أول الأرقام التي حالت بيننا وبين الوحدة.

لم يسئ هذا الرقم لأحدٍ من قبل، على العكس، يبدو طيباً مثل جَدّ. ليس مغروراً كالرقم ١ ولا محتالاً كالرقم ٧. لا يبدو من الطبيعي أن نكره الرقم الذي أعلن منذ القدم دعمهُ للأسرة والحب والمساواة وقيمٍ عظيمةٍ أخرى.

لكنهُ يكره الرقم ٢، إلى درجةٍ عطَّل فيها نصف جسده. يرى بعينٍ واحدةٍ فقط، ويحجب الثانية كالقراصنة. ويتنفس من فتحة أنفٍ واحدة، كما لو أن الأخرى ماسورة مسدودة. يسمع بأذنٍ واحدةٍ فقط، ويغلق الثانية مثل شبّاك. يستخدم يداً واحدةً فقط، رغم أنها تسببت في إرهاقه بل وإذلاله، حين لا يستعين بالأخرى في شجاراته اليومية. كان يمشي أيضاً بساقٍ واحدة فقط، ويجرجر الأخرى مثل ساقٍ خشبية. لا أستبعد أنه تخلص منذ زمنٍ بعيد من إحدى خصيتيه. لم أعرف قبله شخصاً يتعمّد الإصابة بشللٍ نصفي.

كان يكره حتى منظر الرقم ٢، مع أنه يشبهه كثيراً حين يقف، لكن حين تنظر إليه من الجهة الأخرى يبدو شبيهاً بالرقم ٦. كلما شاهد الرقم ٢ في الجريدة أو في الهاتف، تقيّأ وأخرج ما في جوفه من سوائل على شكل الرقم ٢. كان قد خلع ذلك الرقم من حاسبه الشخصي ومن ساعة الحائط ومن التقويم، ولو فاز بجائزةٍ قدرها ٢،٢٢٢،٢٢٢ ريالاً لما ذهب لاستلامها.

كان أبوه أيضاً يكره الرقم ٢. يبدو أنه عيبٌ وراثيّ في سلالات التوائم.

قصة حب

في الخمسين. في الخمسين بالضبط. لو وقف على ميزان العمر، لأظهر الرقم خمسين، ثم نقطتين رأسيتين، ثم صفرين.

في الخمسين ولا يزال مؤمنًا بقصة حبٍّ سيجدها في طريقه، لعلها تختبئ بين الأزقة والشوارع الخلفية. يخشى فقط أنها متعبةٌ من الوقوف والانتظار على ناصيةٍ كان قد تجاوزها قبل سنوات. هل يجب أن يعود؟ ألا تكون في انتظارهِ بعد شارعَيْن أو ثلاثة؟ وكيف يمكنه العودة إلى الوراء؟ لا يمكنه حتى الوقوف لدقائق، ولو على سبيل الراحة.

عليهِ فقط أن يواصل الانتباه، أن يحدّق طويلاً من دون أن يرمش. لعلها هذه المرأة أو صديقتها أو تلك الآنسة، هل يمكن أن تكون صغيرةً إلى هذا الحد؟ حتماً ليست تلك الطفلة، هذا يعني أنني سأنتظر يا رب ما لا يقل عن اثنتي عشرة سنة.

يمشي فتعبر بجانبه سيارة إسعاف، تسير ببطءٍ كأنها تدعوهُ إلى الركوب مثل تاكسي. ومثلما يسأل الأب طفله في محطةٍ على

الطريق السريع: «هل تحتاج إلى الحمّام؟»، يسأل الخمسيني جسده وهو يشير إلى سيارة الإسعاف: «هل كل شيءٍ على ما يرام؟» ولكن جسدهُ يلزم الصمت ولا يجيب. حسناً فلنواصل البحث عنها.

يمشي، وبعد سنوات يتوقف، ويقترح على جسده، اختصارًا للجهدِ والوقت، أن يفترق كلٌ منهما ويبحثان عن تلك المرأة في أماكن مختلفة. «اذهب من هنا»، ويشير لجسدهِ بالسبابةِ نحو الأسفل، «وسأذهب هناك» ويومئ إلى السماء.

البنادق وحَمّالات الصدر

كانت الحياة حلوة، حتى انتبه الإنسان إلى عجزه عن الطيران. كلما حام طائرٌ في الهواء، أخذ يقفز خلفه عبثاً فلم يعرف من الطيران غير السقوط. كانت ساقاه تهويان إلى الأرض كلما رفعهما، وقد كانتا للأمانة أكثر نفعاً على الأرض، حيث يمكنهما المشي والعدو وركوب الخيل والنخلة والجبل.

كلما غرّدت العصافير أو نعبت الغربان، ظن الإنسان أنها تشمت من ساقيه العاجزتَيْن وكتفيه المشعرتين بلا أجنحة، فعاد تعيساً رغم كونه يعيش أزهى عصوره الغرامية، حتى إن الرجل في تلك الأيام لم يكن يختلس النظر إلى مؤخرة جارته كلما سنحت الفرصة. كانت قدم المرأة على قدم زوجها حرفياً، لأنه كان يحمل نهديها أينما ذهبت، فلم تُعرَف في ذلك الزمن الجميل حمالات الصدر، حتى جُنَّ أحد الحمقى واخترع البندقية. وضعها فوق كتفه كجناح. لم تساعده على الطيران لكنها على الأقل أوقفت الطيور عند حدها.

انشغل الرجل بجناحه المشؤوم، وترك نهدَي زوجته يرعيانِ

في الهواء الطلق، حتى استثارا شهامة رجلٍ أرمل بادر إلى حملهما براحتيه. مرَّ الزوج ببندقيته، فراعه ما رأى، وأطلق النار في الحال على راحتَي الأرمل، فتناثرت أصابعه على الأرض.

فقد الرجال بعد ذلك عقولهم، واخترعوا مزيداً من الأسلحة، متنصّلين من حمل الأثداء، باستثناء رجلٍ وحيد حاول عبثاً إصلاح العالم، فاخترع حمالات الصدر تكريماً لذكرى أصابع جده الأرمل.

منامات الجندي

طاف في المتجر فاستوقفه البائع بلطف، وسأله عن مواصفات الساق التي يرغب في اقتنائها. هل تريد ساقًا للعدوِ أم للرقص؟ للعدو. هل تخطط للهرب أم ثمة من تنوي مطاردته؟ مازحهُ البائع. في الحالتين، هذه الساق المعلَّقة تفي بالغرض. يربّت عليها. العضلة مثالية، والسعر كذلك. يمكنها أن تجري لساعتين بلا توقف. ما رأيك؟ أم تراك تبحث عن ساق عَدّاء؟ الساق الأفريقية هي الأسرع في العالم، والأغلى في السوق بطبيعة الحال. لو شاركت بها في الأولمبياد لربما ربحت إحدى الميداليات. انظر ما أروعها، هذه الساق لا تتشنج أبدًا حتى في الكوابيس. سبق وجرَّبتُها في الحديقة المجاورة. بدتْ سريعةً جداً، بل أسرع مما يجب. كدتُ أن أدهس أحد الأطفال لو لم تتدخل أمه في اللحظة الأخيرة. ظللتُ أعدو فلم تلحقني شتائمها ولم أتوقف حتى اختفت المدينة. يضحك. إذا لم يناسبك لونها الداكن يمكننا طلاؤها. سيكلفك هذا قليلًا من المال. لا بأس بهذا اللون، أكد الرجل. هل تريد قدَمًا أيضًا؟ ربما ترغب في إلقاء نظرة على المجموعة الجديدة. لن أخفي عليك، إذا كانت

قدمك مسطحة فلن تجري ساقك الجديدة كما يجب. أرني قدمك، تبدو جيدة. على أية حال، هناك خصومات على بعض الأقدام إن أحببت. غرفة القياس في الخلف، يشير إليها البائع، ويمضي لخدمة جنديٍ آخر يحلم بدخول المتجر نفسه.

كوابيس أليفة

كان كابوسها الوحيد لا ينتهي، حتى عندما تستيقظ، بل ينهض لمرافقتها طيلة اليوم. لا وحوش ولا موتى ولا حروب ولا قيامة. يمكن القول إنه كابوس عادي لولا استمراره، وهذا ما يجعله بالتحديد مزعجاً.

كانت تسمع صوت أقدامِ أحدهم تدنو منها بخطىً ثابتة حتى توقظها فتبتعد من تلقاء نفسها. لا أثر في الغرفة لولا السكون الغريب الذي يخلفه بالعادة مغادرة شخصٍ للتو. كان كعب الحذاء يطرق سمعها، كما لو أن أذنها من رخامٍ أو باركيه. يقول حدسها: «إن الحذاء أسود، بل ومن ماركة سلفاتوري فيرغامو». لا يقصد اللصوص مثل هذه المتاجر الفخمة. هذا شخصٌ لا يخطط لسرقتها، كما لا يخطط لقتلها.

ودت لو ترى ذلك الشخص، لو تصحو مرةً واحدةً قبل مغادرته، لكن المرء لا يصحو بالعادة من الكوابيس إلا متأخراً. تظاهرت بالنوم، وكادت أن تباغته في إحدى الليالي، لولا أنه استدار في

اللحظة الأخيرة، وعاد من حيث أتى. حاولت اللحاق به، لا لتمسكه بل لتعرف من هو فقط، كانت خطواته تبتعد بسرعةٍ فكأنه يركض هو الآخر. أيقنت أنها لن تراه أبداً، ليس فقط لأن الأصوات لا تُرى، ولكن لأن أذنها تتوهم ذلك الصوت، كما تتوهم العين الأطياف.

كلما ذهبت إلى العمل في متجر سلفاتوري فيرغامو، أخذت تحدق لوقتٍ طويلٍ إلى الأحذية السوداء. ما عاد يخيفها ذلك الصوت حتى ما عادت تلتفت عندما يقترب منها وتشعر بأنفاسه الحارة تلفح مؤخرة عنقها.

التوائم

لم تنجب أمي غيري، ومع ذلك عندي سبعة توائم، وأحياناً ثمانية.

بدأ الأمر في الرابعة حين رحت أتبرَّم كل يوم من كوني بلا إخوة. كانت أمي قد ماتت منذ زمنٍ بعيد، قبل أن أولد. جاء أبي في الصباح وترك ظلي في ركن الغرفة. كان أخي الأسود وديعاً مثل حيوانٍ أليف. نلعب معاً طوال اليوم فلا نتوقف إلا من أجل النوم. لم نتشاجر غير مرةٍ واحدة، كنا قد صعدنا إلى السطح، ورجوته أن يخبرني باسمه. ظل صامتاً كعادته فدفعته باتجاه الجدار صارخاً: ما اسمك؟ فرد الصدى بدلاً منه: ما اسمك. قلت: عبدالله ناصر فقال: عبدالله ناصر. اعتذرت منه ولم نتشاجر بعدها أبداً. أظنه يخجل من التأتأة أما أنا فقد اعتدت عليها.

ظهر توأمي الثاني في الليلة التي مات فيها أبي. كنت في الثامنة، وكان توأمي هذه المرة عكس التوأم الأول تماماً، أبيض مثل شبح. ظل هيكله العظميّ يركض لسنواتٍ خلفي كل ليلةٍ على نحوٍ

مضحكٍ ومخيفٍ في الوقت نفسه. يقول إنه سيكتسي باللحم حال وفاتي ويبدأ في مضايقة أعدائي في الكوابيس وفي الطرقات المظلمة. أقول: لا أعداء لي فيقهقه بصوتٍ عالٍ حتى نتبلل من الخوف، أنا وظلي. كان يدفعني من الخلف عندما أصعد الدرج أو أنزل منه، حتى انكسرت ساقي.

كلما ركبتُ مصعداً صادفت على جدرانه إخوتي الثلاثة: عبدالله، وناصر، وعبدالناصر. كانوا في سنٍ واحدة مثل كل التوائم، وبالرغم من ذلك بدا أن عبدالله هو الأكبر. كان يقف برصانةٍ على اليمين، فإذا تأخرتُ مدَّ ذراعه كي لا ينغلق المصعد. قال ناصر إنهم سينتظرونني هنا دائماً، وألحَّ عبدالناصر ألا أخبر أحداً بأمرهم. أحلم على الدوام بامتلاك مصعد نعيش فيه معاً.

أما بقية التوائم فقد كانوا يظهرون مثل البرق ويختفون مثله. يربّت أحدهم على كتفي في العمل، أو يلوِّح من خلف نافذة الطابق العاشر، وحين أخرج شارداً إلى الشارع يرتطم بي ويعتذر بلباقة كأنه لا يعرفني.

الأبوان

لا يعرف مَن ينظرُ من بعيدٍ إليهما هل يجرُّ الأب ابنَهُ، أم أن الولد هو مَن يدفع أباهُ مثل سجين.

بدتْ ذراعُ الأب المشعِرة مثل حبلٍ يطوِّق عنق حيوانٍ فارٍّ، بينما كان ساعد الولد أشبه بعقب بندقيةٍ تقود الأب إلى زنزانته. كانت ذراع الأب وساعد الولد متساويَين في الطول، يبلغ طولهما عشرين سنةٍ تقريبًا، كلما اشتد ساعد الولد تهدلت ذراعُ الأب.

يقطعُ الفتى بزهوٍ كعكة الميلاد، فيقطعُ الأبُ بالسكينِ نفسها من لحمِهِ سنةً كاملةً. يقطع لابنه من دون قصدٍ بعضًا من سحنتهِ وأحلامهِ وفضائحه.

لن يشبَّ الولد حتى يشيب الأب، ولن يغدو أبًا حتى يغدو أبوهُ جدًّا. لن يكونا أخوينِ أيضًا مهما تظاهرا بذلك، ولن تتقلص تلك الأعوام التي بينهما ما لم يُقتل الأب.

على الابن عندئذٍ ليبلغ سنَّ أبيهِ أن يحذَر السنوات وهي تتدافع

مثل قطيعٍ من الثيران. سيكون حينها الأب والابن معًا، وعندما يكبر قليلًا سيصبح أبًا لأبيه. ربما زار المقبرة وبكى أباهُ الطائش. ولكن الكبار يتلكأون أحيانًا، قد يموت الابنُ أولًا ويترك أباهُ يتيمًا، لكن هذه حكاية أخرى.

الجدتان

تنامُ الأم، فتصحو طفلتها اللعوب لتمشي على أطرافِ أصابعها، تتسلَّل خارج الغرفة، فتجد الأم النائمة قد سبقتها هناك.

تكبر يومًا، فتكبر أمها يومًا هي الأخرى. تكبر سنةً، فتكبر الأم سنةً بالضبط. ربما لو حاولت أن تصغر لصغرت أمها أيضًا، لكنها لا تكفُّ عن اللحاق بها، عن مطاردتها، عن دفعها إلى الشيخوخة.

هي هنا والأم دائمًا هناك، وعندما توشك البنت أخيرًا أن تصلها لن تجدها بالطبع؛ لأن الأم تحملُ فوق رأسها حرف الكاف الذي في «هناك»، لتجد البنت نفسها مهما كبُرتْ هنا، والأم هناك.

تعرف الأم جيدًا هذا الطريق الذي تسلكه البنت. تعرفه معرفةَ العميان. قطعته مرارًا على قدميها، ثم على يديها، ثم على أسنانها الأمامية.

أخذتِ البنتُ من ملامحها الفمَ الصغير، واعوجاجهُ اللطيف حين تبكي وتضحك. وعندما يحين الوقت، ستأخذ منها الطمث

والحليب والشَّيب والخرَف. ستغدو أمًّا، ثم ستغدو جدةً، ولن يتذكر أحدٌ -حتى هي- أنها الطفلة هنا.

ألبوم العائلة

حين يتصفَّحُ الموتُ ألبوم العائلة، أي عائلةٍ، وليكُن أفرادها الأمَّ وطفلتَها في النص السابق، وزوجَها وابنَهما في النص قبل السابق، سينزع الصورة التي يقف فيها الأب مزهوًّا بنفسه، يلف ذراعهُ حول زوجته المشغولة بطفلتها، بينما يتطاول رأس الابن مستعجلًا المستقبل. كم تبدو العائلة سعيدةً ومثاليةً في هذه الصورة، لكن الصور تكذب، خصوصًا عندما تكون ملوَّنة.

سيطوي الصورة في جيبه، ويعود بعد سنوات. هل يبدأُ من الأب؟ بوسعِ الجد أن يحل محل ابنه لبضع سنواتٍ، أو يتقدم العم الصغير رسميًّا ليصبح الأب الجديد، أو ربما يأتي رجلٌ غريبٌ، أو لا يأتي أحد.

لكن الأمور لا تسير بهذه الطريقة دائمًا، ربما يبدأ بالعكس، من الأصغر، يخطف الطفلة في غفلةٍ من أمها، ويجري بلا توقف؛ لأنها ستجري خلفه على الفور. لطالما صلَّت لتكون أول الموتى. تظن أنها لن تعيش إذا رحل أحد أبنائها. ستأتي بعدها امرأةٌ أخرى، أكثر شبابًا وأقل مهارةً في الطبخِ والقلق.

أو لعل الولد هو مَن يموت أولًا، فتتوقف السلالة عند الأب، فيندم؛ لأنه لم يرغب في إنجاب الكثير من الأبناء. قال إنه سيكتفي بالطفلين، حتى يتمكن من منحهما كل ما يحتاجانه من اهتمامٍ ورعايةٍ. هل فات الوقت؟

أو ربما يُنسِّق لهم موتًا جماعيًّا صادمًا، فيتذكر الأقارب لبعض الوقت أنهم ليسوا في مأمن. على كل حالٍ، العائلة كاملة اليوم، وستبقى كذلك حتى تعود الصورة إلى الألبوم.

الذي يبصر من الخلف

كان يبصر الأشياء من خلفه فقط، ولا يرى شيئاً أمامه، فكأنه ضريرٌ من الأمام ومبصرٌ من الخلف، عكسنا تماماً. فإذا أراد أن ينظر قدامه استدار كما نفعل عندما نريد رؤية ما وراءنا.

يمكن القول إن ظهره الصدر وصدره الظهر، فهو على الأغلب يخاف طعنةً من الأمام لا من الخلف، وهو بالتأكيد لا يعرف جسده من الأمام، كما لا نعرف أجسادنا من الخلف، إلا عن طريق المرايا أو الحوارات الحميمة.

يبدو مثل قطارٍ من عربةٍ واحدة، في العربة كرسي واحد، الكرسي لسببٍ ما في الجهة المعاكسة.

يسير إلى الوراء، كأنه يسير في الماضي، أو يعود إليه، فلا نعرف ذهابه من إيابه، ولا نعرف أهو أعسرٌ أم أيمن، ذاك أن يمينه تغدو من الخلف يسراه والعكس، وكم كان يشقّ علينا منظره حين يدير ظهره إلى طاولة الطعام، ويشرع في الأكل فيلوي ذراعه بألمٍ ليمسك طبقاً بعيداً، أو حين يتأخر على موعدٍ فيشرع بالركض بطريقةٍ مهينة، لكن

منظره في الملعب تحديداً يغدو معبّراً للغاية عندما يتأخر فريقه، فيخال من لا يعرفه أنه يحتج على الأداء الهزيل حين يدير ظهره ويصوِّب نظره إلى الكشافات العملاقة.

كنا نتساءل كيف يتدبر شؤونه الزوجية. قال أحدنا: «وما حاجته إلى النظر؟»، أضاف وهو يضحك: «أخشى أن يكون الجنس الأعمى أروع وأكثر جموحاً». ضحكنا، وأخذنا نفكر في سرائرنا بأننا لا بد أن نجرِّب ذلك.

كنا نشفق عليه حتى أدركنا أنه هو الآخر يشفق علينا. كان يعتبرنا أسوأ حالاً من العميان، إذ ما قيمة العيش حين لا نستطيع رؤية ما خلفنا.

ليست ساقي

هذه الساق المكسورة ليست ساقي، وإن لم أعرف غيرها ساقًا يمنى طوال حياتي. هل أبدو جاحدًا أم مجنونًا؟ ولكنها الحقيقة.

ليست ساقي ولهذا كسرتها عن عمد، وسأعود لكسرها مرةً أخرى حالما تستعيد قدرتها على الوقوف والمشي. ولن أتوقف حتى أرى عظمة الساق وقد تحولتْ بالكامل إلى طحينٍ أبيض لو عجنته مع الخميرة، وأضفتُ إليه قليلاً من الملح، لصار في الفرن رغيفًا غنيًا بالكالسيوم.

ربما يقول أحدكم إنني حرٌ في جسدي، وقد صدق، لكنها ليست ساقي، ليست ساقي. لماذا لا تصدقونني؟

لا، لم يسرق ساقي أحد، وإن كنت لا أستبعد تماماً أن تشيع مثل هذه السرقات في المستقبل القريب. يصحو المرء فلا يجد ساقه أو ذراعه أو حتى أعضاءه الحميمة فيسارع الناس إلى تقييد أجسادهم بأعمدة الإنارة كما لو كانت دراجات. لن يعدم اللصوص حلاً بالطبع، ليس لأنهم أكثر ذكاءً بل لأنهم أكثر حاجةً في الغالب.

ساقي اليسرى سليمة تماماً ولكنها ليست لي هي أيضاً، حتى هذا الوجه المستطيل الحاد، جسدي كله ليس لي، حتى الاسم والعمر والوظيفة والحالة الاجتماعية كذلك. كلها تخص أخي الذي يصغرني بعشرة أعوام.

استوقفتهُ مرةً أخرى أمام بوابة شركتهِ التي كنت أعمل فيها حارساً للأمن. رجوتهُ أن يعيد لي جسدي، قبَّلتُ يدهُ التي هي في الأصل يدي: أرجوك، أعد لي جسدي فقط وأعدك في المقابل أن أتنازل لك عن الشركة والأطفال وكل شيء حتى فارق السنوات العشر. لم أذكر زوجتهُ خشية أن يغضب. ابتسم كعادته ليغيظني فقط، آه ما أجمل ابتسامته، تلك هي ابتسامتي. شتمتهُ فطردني وهددني لأول مرة.

والآن وقد انتهى كل ما بيننا سأحطم جسدهُ بلا رحمة.

النوارس والغربان

في البدء لم تكن هناك نوارس. ثلاثة نسور أو أربعة فقط على الجبل، وخمسة غربان وعشر حمامات ومئة عصفور على الشجرة، وألف دجاجةٍ تقف على الأرض حائرةً بين المشي والطيران حتى حسمت كبراها الأمر وطارت لدقائق ثم أعلنت للبقية أن الحياة في الأعلى خطِرة فرددتِ الدجاجات خلفها: «الحياة في الأعلى خطِرة»، وزوج طاووسٍ كسول، وطيورٌ أخرى ليس من بينها النوارس.

جاءتِ النوارس بعدما هبط آدم، وفعل قابيل فعلته. شاب الغراب لهولِ ما رأى وابيضّ من الصدمة، فأنكرته الغربان، وتحدّته أن ينعق مثلها فلم يستطع، كان قد تغير صوته بالطبع، كيف لا يتغير؟ يمكن القول إن ذلك الغراب التعس هو النورس الأول أو آدم النوارس.

عاش الغراب النورس وحيداً ومات وحيداً. تكتمت الغربان على تلك الحادثة، وقد علموا أن ذلك المسخ الأبيض غرابٌ في الأصل، بعدما افتقدوا أحد أبنائهم. تكاثرت الغربان، وصار النورس

من الماضي، حتى اختلف رجلان، فقتل أحدهما الآخر، وكان أحد الغربان شاهداً فتحول في الحالِ إلى نورس.

بدا أن هؤلاء البشر لن يتوقفوا عن قتلِ بعضهم البعض، إذ لا مناص من أن يكون أحدهم قابيلاً آخر أو هابيلاً آخر. كانت الغربان المذعورة تتناقص بينما يتضاعف عدد النوارس حتى ما عاد القتل يُفزِع أحداً، بل لقد صارت الغربان تتلذّذ بالتهام القتلى. لو نظرت الآن إلى أي غراب لوجدته يشتهي أن ينقر عينيك الطازجتين.

أما النوارس، فلم تجد خلاصها منذ قابيل الأول، لا يشتهي الصيادون لحمها، ولا الديدان. لا الوقوف على البحر يساعدها على النسيان، ولا الفضلات التي تأكلها.

فأر منزلي

لم يكن أكثر من فأر منزلي له شارب كلارك غيبل. فأر عازب يعيش وحيداً في منزلك بلا خليلة. لا يتجول في البيت حتى تنعس وتغط في النوم أنت والتلفاز والأباجورة. يمدد عضلاته أخيرًا، يؤدي تمارين الشد واللياقة، ثم يجري لبعض الوقت.

وبعد ساعتين، ينتابه السأم مثل حارسٍ ليلي، فيتنقل بين الغرف، ويتعرف أثناء ذلك على القوائم الدائرية والمربَّعة لكراسي الطاولة والمكتب. بالنظر إلى حجمه الصغير، لو كان هذا الفأر رجلًا، لما عرف عن مفاتن المرأة أكثر من الساقَين.

يستلقي على بطنه، ويتزلج على الباركيه مغنياً بصوتٍ خفيض حتى لا يثير انتباهك. لا يكلفك الكثير، فتات من الخبز كل يوم، وبعض الحبوب والألياف في الأعياد ورأس السنة.

غير أن السعادة لا تدوم لأحد، حتى في عالم الحيوان. يصاب بمغصٍ حاد، ثم بإسهالٍ حاد، فينسى المسكين نفسه ويتغوط في

الممر، وبدلاً من مواجهة الأمر مثل الكبار، يلملم ذيله ويعتزل في مخبئه.

تصحو، فتلفت نظرك تلك الخيوط البنية. تدرك في الحال أن فأراً نجساً يشاركك المنزل الذي تدفع وحدك إيجاره السنوي. تبدأ في نصب الفخاخ مستعيناً بالطماطم والجبنة الهنغارية والقشقوان والموزاريلا والحَلوم والتونة. يستغرب الفأر هذه الحفاوة، لم يشهد من قبل هذه الوليمة الضخمة أي فردٍ من العائلة، أو حتى من الأسلاف. ولأنه ليس أبله، لن يقترب منها، ولأنك لست صبورًا، لن تنتظر أكثر من نصف ساعة.

يحاول الفأر تهدئتك قائلاً: «كبِّر عقلك يا رجل! هل يستحق الأمر أن يقتل أحدنا الآخر؟» لكنك لا تريد ذلك، عشت طوال عمرك تكبّر عقلك حتى صار من الحكمة ألا يكبر أكثر من ذلك.

تأتي بقطةٍ رمادية، تدخل البيت بثقة محقّق، وتخطو على مهلها تسع خطواتٍ ثم تنحرف إلى المطبخ. ينتصب ذيلها، وتلتمع عيناها، فيرتعد الفأر. لقد قُضيَ الأمر. ما أحوجه الآن إلى معجزة، ولكن ما احتمال أن تتعرض القطة إلى حادثة دهس وهي في المنزل؟ تحاصرهُ، وفي أقل من أربع وعشرين دقيقة يتدلى ذيله من فمها.

تعيش القطة بمنزلك، وتتعمّد أن تلامس قدميك بفروها. تسمن شيئًا فشيئًا، مثل ربَّة منزل، وتتحاشى الوقوف أمام المرآة. تخدش الأثاث، والكتب، والصور، وحتى أغانيك المفضَّلة. تدعو زوارها ليلاً، وفي يوم أحدٍ مشؤوم تنجب لك عشرة لقطاء. تُلقيها إلى

الخارج، هي وأطفالها بنقمة زوجٍ مخدوع، ولكنها تجد في كل مرة طريقة للتسلل والعودة، ولو من خرم الباب.

تُحضِرُ كلبًا من سلالةٍ شجاعة، يظهر ذلك من خيط اللعاب الذي ينسكب من فمه بلا توقف مثل أنفٍ مصابٍ بالزكام. تحملُ القطة أبناءها وتنجو في آخر لحظة. لن تعود أبدًا هذه القطة كما لن يعود أبداً ذلك الفأر.

ينبح الكلب طوال الوقت، حتى أثناء النوم، ينبح عندما يجوع وعندما يشبع، ينبح على الموسيقى، وعلى كتب الشعر، وعلى الاتصالات الليلية. يتبوَّل في كل مكان، يرفع قائمته بلا اكتراثٍ، ويفعلها. يرفض أن يعود إلى الشارع من تلقاء نفسه. لقد عاش في العراء طيلة حياته، ويحق له في رأيه كما يحق لموظف متقاعد أن ينعم أخيرًا ببعض الراحة والهدوء. تجمع طعامه في حقيبةٍ قديمة، وتفتح له الباب، فينتحب متشبثاً بقدميك.

تتأفف، ربما حان الوقت للاستعانة بحيوانٍ آخر، لم يتبقَ غير الحيوانات المفترسة. لو فكرت بالذئب فأنت مجنون. الأسد؟لا تكن أحمق، هل تعرف كم من المال يكلف الأسد الإفريقي؟

بابل

جُنَّ الساحر، كان قد تجاوز الثلاثمئة عام ولا يمكن للمرء أن يحتفظ بعقله طوال هذه المدة، ثم جُنَّ الناس، أو ربما العكس، لعل الجنون أصابهم أولاً حين راحوا يقللون من منزلة الساحر حتى ما عادوا يُطرِقون رؤوسهم خشيةً منه، بل لقد بلغ الحال بهم أن ينظروا إليه باستخفافٍ كما لو كان متسولاً حتى حدث ما حدث.

شلَّ الساحر ألسنة الناس فانعقدت مثل الحبال وغمر الصمت البلدة. ما عاد بوسع الرجل أن يحيي جارهُ أو يغازل زوجتهُ أو حتى زوجة جاره. ما عاد في مقدوره أن يهدد أعداءهُ أو حتى يزجر أطفاله الصغار. وعندما يقع أحدهم في حفرةٍ أو في مأزق لا يمكنه طلب النجدة، وفي ما لو أنقذه أحدهم بالصدفة لا يستطيع التعبير عن شكرهِ وامتنانه. لا يمكنه أيضًا أن يحكي للآخرين ما حدث فيحذّرهم أو يسليهم.

اختفت التحايا والقصص والنكات والأمثال والنمائم والمواعظ والأكاذيب. لم يُعرف مثل هذا السكون في البلدة حتى بات من

الممكن أن يسمع المرء بوضوحٍ نبضات قلبه وهي تدق مثل يدٍ لا تتعب من طرق بابٍ مغلق، بل ويسمع حركة الأرض والقمر.

تكدَّست الكلمات تحت اللسان، وتدلى الفك كما لو كان لطائر اللقلق وغدا الصمت لا يطاق بعد ثلاثة أيام. كان للكلمات طنينٌ يجوب البلدة فيحول بين الناس وبين النوم. أخذ الرجال يعوون من ألم الرغبة في الكلام، وتهدِل نساؤهم كأرامل الحمام، وينق الأطفال كالضفادع، وارتأى الحانوتي كي لا يتوقف عن العمل أن ينعق كالغراب.

اختلط الأمر على الحيوانات المسكينة حتى ما عاد الحيوان يثق في أخيه الحيوان. هاجر بعضها وانقرض البعض الآخر.

كان الجنون العارم قد اجتاح البلدة حتى كاد أن يقتلعها. لم ينجُ أحدٌ باستثناء المجانين القدامى، الملك وحاشيته. جاؤوا بالساحر وأمروا بجلده، وما إن هوى السوط على ظهره حتى تبين أن السوط هو الساحر الحقيقي، أما الساحر فلم يكن غير رجلٍ بسيط يغضب ويشتم ويئنُ ويبكي. ألقى الساحر تعويذته فانطلقت ألسنة الناس وتطايرت الكلمات من أفواههم كالرصاص.

أمر الملك بإعدامه على الفور وقد تنبأ الساحر بذلك مذ قبضوا عليه فخلط الحروف في غفلةٍ من الجميع. والآن لا يمكن الجزم بأن حرف الحاء مثلاً هو حرف الحاء. ربما كان راءً في الأصل أو حتى ضاداً وإلا كيف نفسر كل هذا الكم من سوء الفهم؟

السجينة

مرَّت سنة الآن، ولا أظنها ستصمد حتى السنة القادمة فضلًا عن السنوات المتبقية.

ما عادت المرأة القوية التي تحكمنا بسخطها ورضاها. كنا، أنا وأخي، نخافها، مع أنها لا تشطر الهواء بسبابتها طوال اليوم كما اعتادت أن تهددنا خالتي الكبيرة. أقصى ما كانت تفعله هو أن تزمَّ شفتيها وتدير وجهها فلا تنظر إلى وجوهنا النادمة. لطالما تعلقنا بأستارها بينما تبتعد غاضبة، فنتبعها من الصالة إلى المطبخ ثم إلى الحمَّام. تقفل الباب ونُقسِمُ خلفه عشرات المرات ألّا نخطئ مرةً أخرى. كنا نتمنى لو تُسارِع إلى ضربنا وينتهي الأمر مثلما يفعل الآباء، لأن صمتها كان في الحقيقة يؤلمنا أكثر.

لكن أمي اليوم امرأةٌ أخرى. خارت رغم بدانتها. ولو ضممتها بشدة لصعدت روحها إلى السماء.

حكموا عليها بالسجن لعشر سنوات، مع أنها بريئة تماماً. لم

تقترف أي جرم، والكل يشهد على ذلك، أنا وأخي والجيران بل وحتى القاضي.

ما كانت لتعيش حتى الآن لولا أنني أُطعِمُها كل يومٍ بنفسي. أفتح فمها بيد وأطعمها بالأخرى، ثم أغلق فمها وأرفع ذقنهاً للأعلى حتى تنزلق اللقمة إلى معدتها. لا تتعمد الإضراب عن الطعام، ولكنها رغبت عنه، رغبت حتى عن الهواء، إلا في يوم الجمعة حين تغادر زنزانتها في الثالثة فجراً لتوقظني فأصحبها لزيارة أخي الصغير في سجنه.

نضج

في صباح السبت، صحتِ الذبابة في ساعةٍ متأخرة بعد ليلةٍ مؤرقةٍ وبطيئة. وبينما تطير على ارتفاعٍ متوسط 163 سم، عبرت رصاصةٌ إلى جانبها فتساءلت الذبابة، وذاك أمرٌ نادر الحدوث: «ماذا فعل الجوع بتلك الحشرة حتى تطير بهذه السرعة؟».

مضت خلفها بدافع الفضول، وقبل أن تغيب عن مدى رؤيتها، أخطأتِ الرصاصة جمجمة الرجل، ولأن الذبابة كانت تطير بسرعتها القصوى لم تستطع تفادي تلك الجمجمة، التي قضت عليها لحظة الارتطام. وعندما التفتت الرصاصة، راعها ذلك المشهد، وقررت أن تكون من الآن فصاعدًا أكثر حيطةً وحذرًا فلا تبتعد كثيرًا عن النفايات، كما هو حال الذباب الذي تجاوز مرحلة المراهقة والشباب، وبدا أكثر حكمةً في الحصول على حياةٍ رغيدةٍ من غير عمل.

لم تكن الرصاصة ترافقهم عندما ينصرفون لقضاءِ وقتِ القيلولة فوق أنوفِ البشر، لأنها في المرة الوحيدة التي فعلتها راودتها كوابيسٌ دموية.

ثور منزلي

عاد الاكتئاب. لا أدري من أين، ولا أدري إلى متى سيبقى هذه المرة. سألته فقط ما إذا كان سيُمضي الليلة هنا؟ فاكتفى بإيماءةٍ صامتة. ولو طرحتُ عليهِ سؤالاً آخر لما أجاب.

ليس لأنه كتومٌ بالفطرة، لا، فالاكتئاب بطبيعته أبكم، وهذا ما يجعل كلُ منا يسيء فهم الآخر. لغة الإشارة؟ لا أعرفها، ولو تعلمتها لما تعلمها هذا الثور، ولست أقلل من احترامه، ليتني أستطيع، فاكتئابي ثورٌ حقيقيٌّ، شديد السواد، يزن نصف طن، وأحياناً طنّاً ونصفًا، وله قرنانِ رائعان. كان قد قرع الجرس بأحدهما، فتحت الباب في الحال، ولو لم أفعل، لحطمهُ كما فعل في مراتٍ سابقة.

جرَّبت بلا جدوى الكثير من الأقفال، ولما لم تفلح في حمايتي صرت أفتح الباب بسرعة. وعندما أتأخر، أعتذرُ منه كما نعتذر بلباقةٍ من الضيوف. يدخل الاكتئاب على الفور، ويدفع كتفي أحياناً، يتجوّل في شقتي، يعرفها جيداً، ربما أكثر مني. أتركه وأبقى حذرًا، لا أدري متى سيهاجمني.

لا أستطيع أن أصرعه، ربما كان هذا ممكنًا في الماضي، عندما كان عجلاً صغيراً يرتمي عليّ، ويلقي رأسه الطويل بين ذراعي، أصفعهُ، فنضحكُ نحن الاثنان بلا توقف.

يركض فيجرحني هنا وهناك، كل هذه الندوب بسببه، وهذه الساق التي صارت تعرج. تمكن اليأس مني في إحدى المرات، فوقفت قبالته ورفعت قميصي، فليبقر بطني ولينتهِ الأمر. صرختُ في وجهه، شتمته، شتمتُ أمه أيضاً، ولم يتحرك. أمسكتُ بقرنه وقربته من سرتي، وقلت بصوتٍ عالٍ: «هنا». لم يبدُ مهتماً، بل استدار مبتعداً بمؤخرته الطويلة وذيله القصير.

أعرف أنه لن يقتلني، أعرف أيضاً أنه لن يتركني في حالي. وفي أحد الأيام، أيقظتني رائحته النتنة. نفَقَ أخيراً وارتفعت قوائمه إلى الأعلى مثل كرسيّ مقلوب بعد يومٍ طويلٍ في المقهى. كادت رائحته أن تقتلني، تخلصتُ منه بمساعدة الأهلِ والأصدقاء. وبعد أسابيع بينما أصعد الدرج، لحق بي ثورٌ صغير، أظنه ابنه البكر. سبقني إلى الطابق الثالث فأشرتُ قائلاً: « إلى أين تذهب؟ أسكن في هذا الطابق، وتلك شقتي.»

الكرسي الذي يتحدث الألمانية

يبدو أن الكراسي تتكلم أيضًا.

سمعتُ أحدَها يتكلم بسخطٍ قبل أيام، ويبصق نشارة الخشب، معنّفاً الكرسي المقابل، حتى ظننتُ أنه على حق، لأن الكرسي الآخر طأطأ رأسه ولزم الصمت، كما لو أنه يقرّ بذنبه. بدا أنه يتحدث الألمانية، ليس فقط لأنه أسرف في حرفي الشين والخاء، ولكنني سمعته بوضوح يردد بين كلمةٍ وأخرى: « شايزه».

كانت طليقتي تفضل ذلك الكرسي، كانت تجيد الألمانية أيضًا. أما أنا فلطالما توجَّست ريبةً من كرسيها الذي يبدو من بعيد أطول وأعرض من البقية، ولكن ما إن تقترب منه حتى يعود شبيهًا بالكراسي الأخرى لطاولة الطعام. الطول نفسه والعرض أيضًا، بل وحتى الخرس.

لمحتهُ مرةً يمدد ساقه الملساء تحت الطاولة، وعندما تنبَّه استعادها بخجل. حاولت التخلص منه أكثر من مرة، ولكنه علِم بطريقةٍ ما، فصار يغير مكانه كل يوم. أشك أن باب البيت هو

الواشي، لأنني كلما خرجت إلى الشارع رحت أتوعّد الكرسي.

لا أنام الآن حتى أقفل غرفة النوم، أخشى أن ينتقم مني، فيحطم رأسي بذراعه أو ساقه. كلما مررتُ بجواره تلفَّتُّ من الخوف. أجزم أنه يسخر مني، بل وينعتني بالجبان.

ما عدت آمن كل الأخشاب التي في بيتي: الطاولة، والكراسي، والمكتبة، والخزانة، حتى السرير، أحلم أنه ينطبق عليَّ فأختنق وأصحو من الهلع حتى صرت أنام مؤخرًا على السيراميك، قد يكون باردًا ولكنه آمن. عندما أخرج إلى العمل صباح الغد، سأقفل الباب مرتين، ولن تنجو تلك الأخشاب من النار التي سأضرمها في البيت.

الفهرس

العالق في يوم أحد.............................. 1

العالق في يوم أحد.............................. 3

مجموعة قصص.............................. 3

متواليات 7

حتى ساعات دالي 9

تكامُل 11

المسيح.............................. 13

حياة مستعملة.............................. 15

الذي لا يستطيع الدخول.............................. 17

اللذانِ لا يستطيعانِ الخروج 19

شارب فريدا كالو 21

التوأم..23
الرياض طوكيو 25
سعال..27
ضعِ الرأس أولاً 29
حوادث الأيام 31
الغول..33
عبدالله ناصر 35
المعجم 37
ساعات مفقودة..............................39
ذائقة..41
نقش.. كتابة 43
حادثة اختطاف 45
الخوف من الطيران..........................47
ما تفعلهُ أجسادنا أثناء النوم 49
هاوية على الطراز المعماري الحديث........51
الآخر..53
الصوت العجوز 55

غيب 57
العالق في يوم أحد.............................. 59
بطاقة تبرّع 61
تحول 63
كيف تلعب ظلالنا الشطرنج؟...................... 65
الخوارزمي 67
2 69
قصة حب.. 71
البنادق وحَمّالات الصدر 73
منامات الجندي 75
كوابيس أليفة 77
التوائم.. 79
الأبوان 81
الجدتان 83
ألبوم العائلة 85
الذي يبصر من الخلف........................... 87
ليست ساقي.................................... 89

النوارس والغربان 91
فأر منزلي.. 93
بابل 97
السجينة 99
نضج 101
ثور منزلي 103
الكرسي الذي يتحدث الألمانية.............................. 105
الفهرس 107

عبد الله ناصر

العالق في يوم أحد

"لا يزال عالقًا في الأحد، بينما انتقل العالم كله إلى يوم الاثنين. يخشى أن يتحول الأسبوع إلى سبعةِ آحاد، يخشى أكثر أن تختلط عليه الآحاد فلا يعود قادرًا على تمييز الأحد الذي يعقبه الاثنين، فتدوم الآحاد الملعونة أسبوعًا آخر.

كلما اقتربت الساعة من الثانية عشرة ليلًا، فكر في القفز من نافذة الأحد، وليحدث ما يحدث، غير أنه في الحقيقة يخاف أن يرتطم بالجمعة. أن يعلق بالأحد أرحم بكثير من أن يعلق بالجمعة. إذا كانت الجمعة الوحيدة في الأسبوع لا تطاق، فما بالك بسبع جُمعٍ غليظة؟"


ISBN 978-614-472-058-5


التنوير للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - القاهرة - تونس